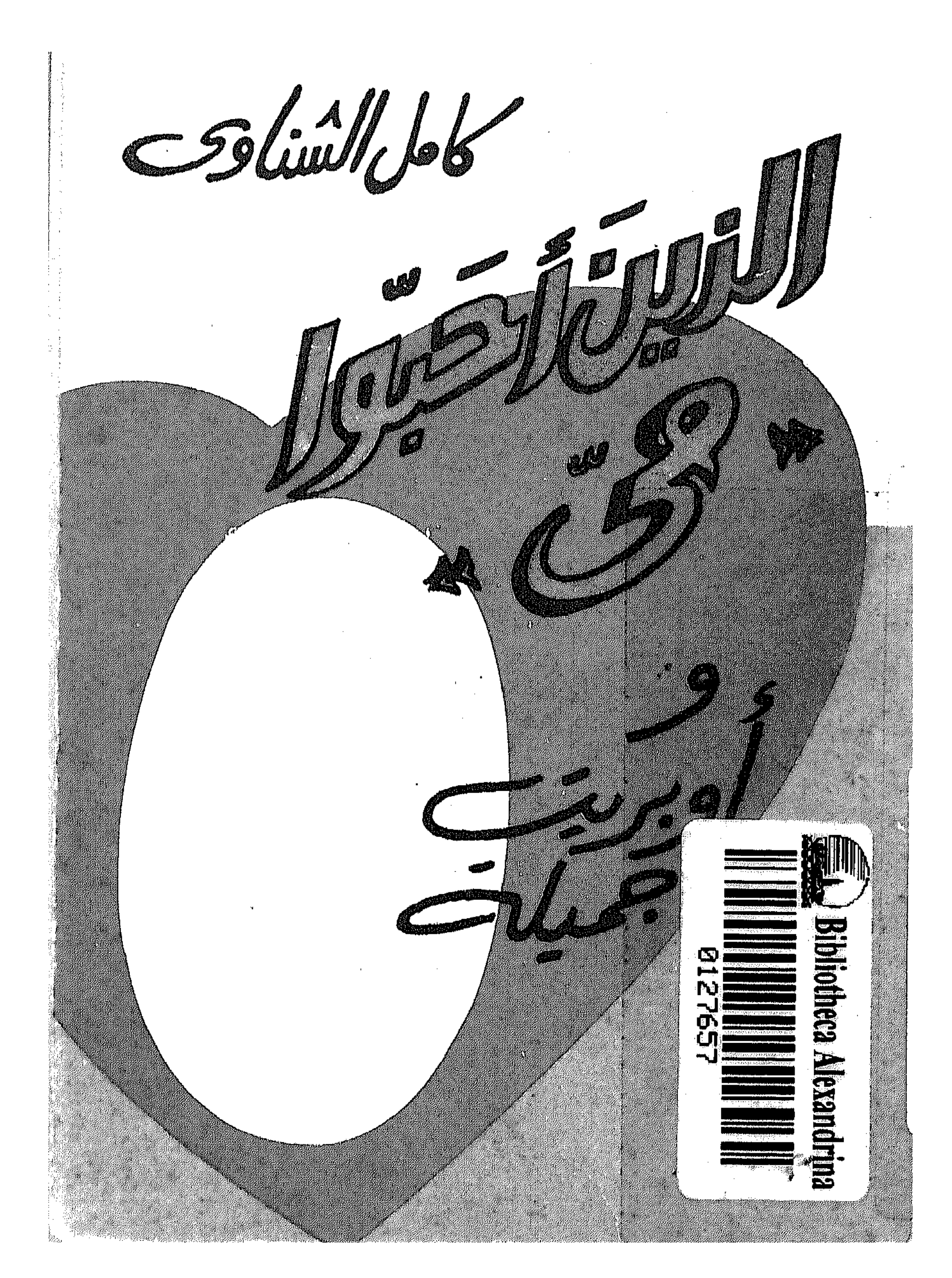

كامل الشناوي
الذين أحبوا مي
و
أوبريت جميلة
Bibliotheca Alexandrina
0127657



الذين أحبوا «مي»
و«أوبريت جميلة»

بقلم

كامل الشناوي

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الذين أُحبّوا « ميّ »



هؤلاء.. أحبوا.. «ميّ» !!

* العقاد.. وصادق الرافعي.. ومصطفى عبد الرازق.. وولى الدين يكن.. وخليل مطران.. وأنطون الجميل.

* لوحات حية.. من صالون «ميّ».

ما أكثر الذين كتبوا عن «ميّ» ووضعوا عنها بحوثًا ودراسات.. ولكن ماظهر من هذه البحوث والدراسات ربما رسم صورة «ميّ».. الكاتبة المفكرة.. ولم يرسم صورة «ميّ» الإنسانة التى أحبت.. وتعذبت. وتحصنت بعفافها.. وماتت شهيدة !!

«مي».. التى أحبها عباس العقاد.. ومصطفى صادق الرافعى.. ومصطفى عبد الرازق.. وولى الدين يكن.. وخليل مطران.. وجبران خليل جبران.. وأنطون الجميل.

وقبل أن أتحدث عن هؤلاء.. يجب أن أقول شيئًا عن «ميّ»..

.. من هى ؟؟

.. ما اسمها الحقيق ؟؟

.. كيف كانت تعيش ؟؟

.. كيف دخلت مستشفى « العصفورية » فى لبنان ؟؟

.. كيف عـادت إلى مصر.. ورقـدت فى ثـراها رقـدتها الأخيرة عام ١٩٤١ ؟؟

من هى..؟؟

ولدت «مىّ» فى فلسطين عام ١٨٩٠، وعقب ولادتها انتقلت مع والديها إلى لبنان، فدخلت مدرسة للراهبات، وأتقنت الكتابة باللغة الفرنسية، وذاع صيتها الأدبى وهى فى العشرين من عمرها، وصحبت أبويها إلى مصر قبيل الحرب العالمية الأولى.

ولقد اختار والدها - الأستاذ إلياس زيادة - مصر موطنًا له، وأصدر جريدة «المحروسة».. يومية.. سياسية.. مسائية.. أصدرها باللغة العربية، فاتجهت «مىّ» إلى تقوية أسلوبها العربى.. فدرست آداب اللغة، وتاريخ العرب، والفلسفة الإسلامية، والتحقت بالجامعة المصرية القديمة، وأخذت تنشر مقالاتها باللغة العربية فى جريدة «المحروسة» وفى المجلات الأدبية التى كانت مزدهرة فى ذلك الحين.. مثل الهلال والمقتطف والزهور.

كان اسمها «مارى زيادة» فاختارت لتوقيع كتاباتها اسـ

« ميّ » وقد لصق بها هذا الاسم العربى، فى اللغة العربية، وفى جميع اللغات التى انتقلت إليها آثار « ميّ »..

وكانت تتقن ثمانى لغات عدا اللغة العربية، وقد ألفت ديوان شعر بالفرنسية، وقصة باللغة الإنجليزية، وألفت باللغة العربية كتبًا كثيرة من بينها « دمعة وابتسامة » و« بين الجزر والمد » و« ظلمات وأشعة » و« كلمات وإشارات » و« باحثة البادية ».

ولكن هذا لا يكفى لتعريف قارئ اليوم « بميّ ».. فلنسرق بضعة أسطر من صميم الموضوع.. وهو حب بعض الأدباء « ميّ »... وحب « ميّ » بعض الأدباء !!

لقد بدأت « ميّ » حياتها الاجتماعية بأن أعدت فى بيتها « صالونًا » يجتمع فيه الأدباء وأهل الرأى يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان هذا الصالون فى منزل بشارع عدلى.. مكان محطة البنزين القائمة هناك الآن..

وقد بقيت فى هذا المنزل من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٢١.. ثم تركته وسكنت فى دور من عمارة تملكها جريدة « الأهرام »، وهى العمارة التى كانت تشغلها إلى وقت قريب أقسام إدارة « الأهرام ».

رواد الصالون

وكان يتردد على صالون «ميّ» الأستاذ الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي. وشيخ العروبة أحمد زكي، وشيخ القضاة عبدالعزيز فهمي، وشيخ الشعراء إسماعيل صبري، وشيخ الصحافة داود بركات، وشيخ المفكرين الدكتور شبلي شميّل، والأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق، وأمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر الأقطار العربية خليل مطران، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، والشاعر الثائر ولي الدين يكن، والأديب المحافظ مصطفى صادق الرافعي، والكاتب الكبير الأستاذ أنطون الجميل.. وأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد، والأستاذ الدكتور منصور فهمي، والكاتب الكبير عباس محمود العقاد، وشيخ الخطاطين نجيب هواويني!

وكان يوم الثلاثاء يومًا مقدسًا عند رواد «الصالون».. قلما يتخلف منهم أحد في هذا اليوم عن زيارة «ميّ» إلا إ[ذا] كان مريضًا، أو على سفر!

وقد كان شيوخ الصالون يحسون «لميّ» في نفوسهم عاطفة

اختلطت ملامحها... أهى عاطفة حب أبوى، أم هى عـاطفة حب عذرى؟

يمرض إسماعيل صبرى ولا يستطيع رؤيـة «مـىّ» يـوم الثلاثاء فيهدد إذا لم يشف يوم الثلاثاء القـادم.. فلن يعترف بهذا اليوم أبدًا...

ولا يكتفى بهذا.. بل يقول:

وأستغفر الله من لحظة... مـن العمـر لم تلقـنى فيـك صبًّا!

الطبيب الملحد

وكان الدكتور شبلى شميل، شيخًا هرمًا، طاعنًا فى السن. وكان مفكرًا، فيلسوفًا، وهو أول من نقل «داروين» إلى اللغة العربية، وقد شرح نظرية «داروين» فى التطور، تحت عنوان: «النشوء.. والارتقاء»، وكان ينـظم شـعرًا سـخيفًا، ويـكتب بأسلوب جديد قوى؛ وقد انتهى بـه تفـكيره إلى الإلحـاد عـن الأديان جميعًا، وإنكار وجود الله... وكانت «مىّ» تقول له: إنى أعجب لك!.. كيف تكفر بالله.. وتؤمن بداروين!!

وكانت تقول عنه إنه متعصب للإلحاد !! وترى أن منطقه غير مفهوم ! . .

وكان شبلى شميل عصبيا، دمويًا . . مريضًا بالربو، فى صوته غلظة، وفى حركاته حماقة، وكثيرًا ما رفع عصاه فى صالون «مىّ» مهددًا بضرب من يجادلونه فى عدم وجود الله . . . وقد كان نجيب هواوينى ضحيته أكثر من مرة !

كان حافظ إبراهيم يقول إن الدكتور شميّل أعجبه صوت أحد المطربين، فظل يستعيده، وبدلاً من أن يقول مثلنا : الله . . الله . . كان يقول : الطبيعة . . الطبيعة !!

وطلب أحد مرتزقى الصحافة من الدكتور شميّل نقودًا فلما رفض . . هدده الصحفى بكتابة مقال يؤذيه . . . فضحك شميّل وقال : وهل تظن أنى ممن يخافون التهديد ؟ هل أنا عمدة ؟ أنا لا أعبأ بالتهديد ! . .

فقال الصحفى المرتزق : هل تعرف موضوع المقال ؟

فقال شميّل : لا يهمنى !

فقال الصحفى المرتزق : سأثبت فى المقال وجود الله . . .

وهنا فزع شميّل وقال : ما دام الأمر كذلك. . خذ ما تشاء !!

وهكذا. . كانوا يشهرون بالدكتور شميّل، وكان هو يجهر بإلحاده، حتى إن حافظ إبراهيم رثاه بقصيدة قال فيها!

جزع العلم يوم متّ ولكن أمن الدينُ صولةَ الكفار

شيخ العروبة

وكانت علاقة أحمد زكى شيخ العروبة «بمىّ»، علاقة أبحاث لغوية. . وكان يشغل منصب السكرتير العام لمجلس النظار، وكانت له مقالات غريبة، وعناوين أشد غرابة. . وقد بحثت معه، أو اقترحت عليه، إنشاء مجمع لغوى، على مثال مجمع الخالدين فى فرنسا. ولم يكن من الرواد الدائمين للصالون.

شيخ الصحافة

وكان داود بركات يحضر لصالون «مىّ» خلال فترات

الراحة بين عمله كرئيس تحرير للأهرام. وداود بركات - برغم قدرته العظيمة فى الكتابة السياسية - لم يكن يميل إلى الأدب والشعر والفلسفة إلا بقدر ضئيل.. فكان يطرق باب الصالون.. مستأذنًا فى الدخول، وما هى إلا دقائق معدودات.. حتى يغلق الباب وراءه ويخرج من غير استئذان !!

..

مداعبات مطران

وكان شاعر الأقطار العربية خليل مطران أكثر رواد الصالون فى عدد الساعات التى يقضيها مع «ميّ». كانت أحاديثه لا تنتهى، ومداعباته «لمىّ» حبيبة إلى نفسها. وكان له من ذكرياته الشخصية، وثقافاته المتعددة معين يستمد منه حديثه ودعاباته.

كان يأخذ على «ميّ» أنها تجامله إلى حد الرياء.. رآها مرة وهى تودع إحدى صديقاتها، وقد استغرقت لحظات الوداع بضع دقائق.. فذهب إلى «ميّ» وصديقتها فعلم من حديثهما أن الصديقة مسافرة إلى حلوان.. وعاد إلى الصالون..

ولما لمح «ميّ» عائدة.. اصطنع البكاء فقالت «ميّ» لماذا تبكي؟

فقال: أبكي سفر صديقتك!

فقالت: ولكنها مسافرة إلى مكان قريب.. إلى حلوان!

فقال خليل: ما دام المكان قريبًا.. ففيم هذا السوداع الحار.. والله لولا أني أعرفك.. لقلت إن هذا رياء!

فابتسم مصطفى عبد الرازق وقال: إن «ميّ» لا تسرائي، ولكنها تجامل في رشاقة!

البائع والمالك

وكان أنطون الجميل يحب «ميّ» في عنف وكتمان وكبرياء.. وكان يعتقد أنها تشعر به كما يشعر بها.

وسئلت «ميّ» عن أنطون الجميل الأديب، وخليل مطران الشاعر، فقالت: إن أنطون بائع جواهر.. وخليل مطران يملك جواهر!

عبد العزيز فهمي

وكان عبد العزيز فهمي الرجل المتمرد الثائر، يجلس في صالون «مىّ» فلا يشارك بكلمة، ويكتفي بالإصغاء، والنظر.. كان يستحي من المجالس التي تضم امرأة، ولو كان عقلها عقل فيلسوف!

سأله خليل مطران يومًا: لماذا لا تتكلم؟

فقال: إذا تكلم لطفي السيد فقد وجب أن نصغي!

فقال خليل: وإذا تكلمت أنت فكلنا آذان صاغية..

فضحك وقال: النظر هنا، وأشار إلى «مىّ» خير من الكلام، وخير من الإصغاء... وكانت هذه هي عبارة الغزل الوحيدة التي نطق بها عبد العزيز فهمي في صالون «مىّ»!

الرافعي..

وكان مصطفى صادق الرافعي، كاتبًا وشاعرًا، كان يحمل لواء القديم بإحدى يديه، ويحمل باليد الأخرى، سيفًا، أو

رمّحا، ويطارد المجددين ويهاجمهم فى قسوة، وجرأة ومرارة، وقد نشبت بينه وبين العقاد وطه حسين معارك استعمل فيها من الألفاظ والعبارات ما لم يحدث له مثيل فى الأدب العربى كله على الإطلاق! وليس هذا مهمًا... ولكن المهم أن مصطفى صادق الرافعى كان موظفًا فى محكمة طنطا، وكان يحضر إلى القاهرة كل يوم ثلاثاء ليحضر صالون «مىّ» ويسافر صباح الأربعاء إلى طنطا ليباشر عمله، ثم يعود إلى القاهرة يومى الخميس والجمعة، ويقضى اليومين فى زيارة «مىّ».. وقد أحب «مىّ» ونظم فيها شعرًا كثيرًا، وكتب «رسائل الأحزان»، وكان يعتقد أن «مىّ» تحبه.. وكان رواد «الصالون» يسخرون منه، ويعلقون على حركاته بصوت خافت، وكان لا يسمعهم، لأنه كان أصم.

كان رواد «الصالون» يتأنقون فى ملابسهم وحلاقة ذقونهم.. إلا واحدًا... هو صادق الرافعى، كان يصل من المحطة رأسًا إلى «الصالون» وعليه كل ما فى الطريق بين طنطا والقاهرة من غبار.

ولمحه حافظ إبراهيم يومًا وقد جاء فى بدلة جديدة فقال

له : أنت متنكر يا صادق. . أمال فين التراب اللى دايمًا على بدلتك !

الشاعر الموسيقار!

وكان أحمد شوقى أمير الشعراء، قليل التردد على صالون « مىّ » وكعادته لم يكن يجادل، أو يناقش بل كان يتأمل ويحلق بخياله مع دخان سيجارته، فإذا هم بالانصراف وقف مع « مىّ » على انفراد يقول لها كلمة مجاملة، ويسمع منها مثل هذه الكلمة !

كانت تصف شوقى بأنه يحب أن يعيش فى وقت واحد، على انفراد ومع الناس. . . فهو يجلس فى « الصالون » بجسمه، أما تفكيره وشعوره. . فهما فى مكان آخر لا أحد يعلمه. . . وهو أيضًا لا يعلم أين هذا المكان !!

وكانت تعجب بشعر شوقى، وتشير إلى ما فيه من موسيقى، وتسمى شوقى الشاعر الموسيقار. . .

صلات أدبية

كانت صلة طه حسين ومنصور فهمى « بمىّ »، صلة أدبية بحتة، لم يزرها طه حسين إلا مرات قليلة، وكانت تؤثره بالتقدير والإعجاب، وكانت مناقشات الدكتور منصور فهمى معها تدور حول الفلسفة أو الروحانيات. أما نجيب هواوينى فكانت صلته بها صلة الصداقة المتينة.. أو كما قالت هى: صداقة مزمنة!

لطفى السيد

وكان لطفى السيد، كما ظل حتى آخر أيامه، رجل « صالون » محدثًا لبقًا، يتخير الجملة التى تلفت الذهن والأذن، ويحسن استعمال صوته ارتفاعًا وانخفاضًا، وكان يعرف كيف يدس بين كلامه عن الفلسفة أو الأخلاق أو الدين أو الأدب.. كلمة نسيب وغزل!

وكانت الأناقة حائرة بين قوامه، وهندامه وكلامه! ولكنه

لم يعشق «ميّ».. ولم تعشقه «ميّ».. كان يحب جسوها المشبع بالجمال، والذكاء والثقافة... جميعًا، وكانت تحب جوه المشبع بالذكاء والثقافة وحدهما!

قدم إليها أحد أصدقائه من المصريين، فأخذ صديقه هذا يحدثها باللغة الفرنسية، فلما غادر الصالون قالت للطفى السيد غاضبة: كيف يحدثنى باللغة الفرنسية؟

فقال: هل كان يجب أن يحدثك بجميع اللغات التى تعرفينها؟ فقالت: لا... يجب أن يفهم أنى لست «خواجاية».. أنا عربية، فلا ينبغى أن يكلمنى إلا باللغة العربية!

الذين أحبوها.. وربما أحبتهم!

أما الذين أحبوها، وربما أحبتهم.. فهم عباس العقاد ومصطفى عبد الرازق، وولى الدين يكن!

ولكنى لم أحدثك عنهم... فقد طال الكلام أكثر مما ينبغى. ولم تعرف بعد كيف كانت «ميّ» الفتاة العذراء البتول الفيلسوفة المتدينة.. كيف جُنّت من العفة والكبت،

وكيف شفيت من جنونها. كيف ماتت وكيف وقف على قبرها هؤلاء الذين أحبوها فقال عباس العقاد والدموع تطفر من عينيه :

«كل هذا فى التراب»... آه من هذا التراب !!» وقال مصطفى عبد الرازق وصوته مخنوق بالبكاء :

«شهدنا مشرق «مىّ»، وشهدنا مغيبها، ولم يكن طويلاً عهد «مىّ».. على أن مجدها الأدبى كان طويلاً».

أما ولى الدين يكن الشاعر المتمرد النابض بالألم، والفكر والحياة، فلم يقل شيئًا فى موت «مىّ».. فقد مات قبل أن تموت هى بثمانية عشر عامًا، وقد بكته «مىّ».. بكته بعينيها، وقلبها، وقلمها.. وكان بينهما حب جارف.. ووجد مشبوب الأوار.

لقد كنت أظن أن ولى الدين يكن هو الشخص الوحيد الذى أحبته. ولكن العقاد يقول : لا..

لماذا يقول : لا..؟!



كيف أصيبت «ميّ» بالجنون؟؟
الحب العاصف بينها وبين العقاد
وممارسة المرأة لحق الانتخاب

أحبت «ميّ» الشاعر «ولى الدين يكن» وتدلهت به، وبكته بكل قلبها، وكل عقلها، ولبست عليه ثوب الحداد.. وكنت أعلم أنه الأديب الوحيد الذى عشقته «مى» وشغفت به حبًا...

ولكن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد قال لى: لا... ليس ولّى الدين هو الأديب الوحيد الذى أحبته «ميّ»!

فلماذا قال العقاد هذا؟

وأجيب عن هذا السؤال، فأقول إنى قد اتصلت بالأستاذ العقاد أسأله شيئًا من ذكرياته عن «ميّ»، فتكلم عن أدبها،

وذكائها، وروحها، وتدينها، وطريقتها فى التعبير، والأداء، وحرصها على إتقان كل حرف تكتبه، وإجفالها الشديد من النقد!

وقلت له: إنى لمحت من خلال دواوين شعره صورًا عديدة فى... وإذا لم يخنى تكهنى.. فإن اسم «هند» الذى ورد فى أكثر من مقطوعة شعرية تفيض بالغزل والشوق والحنين.. ليس إلا اسمًا مستعارًا «لمىّ»... وعدد حروف «هند» مثل عدد حروف «مىّ» إذا حسبنا شدة الياء فى اسم «مىّ» حرفًا... وكلا الاسمين من وزن واحد.. فأحدهما يحل محل الآخر فى بيت الشعر دون أن يكسره!

وأطلق العقاد ضحكة مكبوتة وقال:

ـ أظن استنتاجك هذا صحيحًا!

قلت: ولقد رأيت كل ملامح «مىّ» فى قصة «سارة».. إن «مىّ» هى البطلة المنافسة «لسارة».. لقد وصفت إحداهما فقلت إن حولها نهرًا يساعد على الوصول إليها... ووصفت الأخرى فقلت إن حولها نهرًا يمنع من الوصول إليها..

إن «ميّ» هى هذه الأخرى ولا شك!

وأبدى العقاد دهشته من استنتاجى وقال: لقد حاولت جهدى أن أكتم هذه الحقيقة عن أقرب الناس إلى، وكان فى عزمى أن أجهر بها يومًا، ولكن بعد أن يصبح هوانا العفيف تاريخًا يجب أن يسجل، وإن عندى من رسائل «ميّ» إلى، وعندها من رسائلى إليها، ما يصلح كتابًا يصور علاقتى بها، وهى علاقة قائمة على الحب المتبادل!

وقلت له: لقد ظننت أن ولّى الدين يكن هو الإنسان الوحيد، أو الأديب الوحيد الذى أحبته «ميّ»!

فقال العقاد: لا! ليس هو الوحيد!

قلت: وهل كانت تحبك كما تحبها؟

فقال: ليس من حق أن أجيب عن هذا السؤال... ولكنى عندما أقول لك إن ولى الدين ليس هو الوحيد الذى أحبته «ميّ»، فأنا أعرف ماذا أقول!

ورجعت إلى صديق للعقاد، كان يلازمه منذ ٣٠ عامًا بلا انقطاع، وسألته عما يعرفه عن علاقة العقاد «بميّ».. فسرد لى تاريخًا طويلا من الأزمات النفسية التى عاناها العقاد

فى حب «مىّ» وقال إنه فهم من العقاد أن «مىّ» تبادله حبًّا بحبّ، وذكر لى الصديق أن العفة كانت علاقة مميزة «لمىّ» الأديبة، و«مىّ» الأنثى.. وهذه العفة، أو الكبت، هو الذى أورثها الجنون...

وقال: إن أقصى ما ناله العقاد من «مىّ» قبلة على جبينها، أو قبلة على جبينه، وقد كانت «مىّ» ضنينة بقبلاتها على كل من أحبوها، ومع ذلك يمكنك أن تقول إن الحب عصف بقلبها وقلب العقاد.. وقد رأيتهما يسيران فى الطريق معًا، وتتبعت خطواتهما عن بعد، فإذا هما يدخلان كنيسة... وكانت الساعة السابعة مساء!

وفى اليوم التالى سألت العقاد أين كنت مساء أمس؟

فقال: كنت خارج البيت!

ولما فاجأته بأنى رأيته مع «مىّ» يدخلان كنيسة، ابتسم وقال: وماذا ظننت؟

فقلت: لقد ظننت أنكما كنتما تعقدان قرانكما هناك!

فضحك ملء حنجرته.. وقال: لقد دعوتها إلى السينما، فقبلت الدعوة، واشترطت أن تذهب إلى سينما الكنيسة.

وقلت لمحدثى : وهل فى الكنائس أماكن معدة لمشاهدة افلام السينما :

فقال : عندما طغت السينما بأفلامها المغرية خشيت الكنائس أن تؤثر الأفلام فى الأخلاق الفاضلة والعاطفة الدينية، فأعدت فى أبنيتها أماكن لعرض الأفلام، وكانت تتخير منها ما لا يتنافى مع الآداب المرعية. وبذلك لا تحرم المتدينين من مشاهدة الأفلام القيمة.

واستطرد محدثى يقول : إن هذه أول مرة تخرج فيها «مىّ» بصحبة صديق لها وتقضى معه وقتًا فى السينما.

ومضى يقول : لقد كانت «مىّ» تحب العقاد الأديب الكاتب الشاعر، ولكنها لم تكن تحب العقاد السياسى، وحاولت أن تقنعه بترك الكتابة فى السياسة.. وكان العقاد كاتب الوفد والمحرر الأول لجريدة البلاغ.

العقاد يتكلم

وعدت إلى العقاد أسأله عن هذه الواقعة فقال : إن صديقنا لم يفهم الوضع على حقيقته، فالواقع أن «مىّ» كانت

تشفق من عنف حملاتى على الحكومة.. كانت تخشى أن تجرفنى هذه الحملات إلى السجن، وكثيرًا ما رجتنى فى أسلوب رحيم رقيق أن أخفف من غلوائى، وأنا أهاجم خصومى، حتى لا يلقوا بى فى غياهب السجن، وتتعرض حياتى للخطر. وكنت أستغل هذه العاطفة فى جعلها تبدأ بمصالحتى كلما وقع بيننا خصام.

ولقد حدثت بيننا جفوة، وأصررت على ألا أتصل بها، ولكنى شعرت بحنين إليها، فلم أفكر فى زيارتها أو كتابة رسالة لها، وكتبت مقالا عنيفًا هاجمت فيه إسماعيل صدقى، وكان رئيسًا للوزارة.. وفى اليوم التالى جاءت «مىّ» إلى جريدة البلاغ، وقابلت المرحوم الأستاذ عبد القادر حمزة، وقالت له: ألم نتفق مع الأستاذ العقاد على أنه يحسن به فى هذه الأيام الإقلاع عن هذا الأسلوب العنيف، حتى لا يعرض نفسه لما لا تحمد عقباه؟

وكانت غرفتى بجوار غرفة الأستاذ عبد القادر، ويفصل بين الغرفتين باب، وإذا هذا الباب ينفتح، وتطل منه «مىّ»، وخلفها الأستاذ عبدالقادر يقول: هذا هو الأستاذ العقاد فقولى له ما تريدين.

واصطنعت «مىّ» الهدوء، وتصنعت الابتسام، وقالت لى : فيم هذا العنف؟ قلت لها : أو قلت لنفسى لا أذكر : وفيم هذا الجفاء؟

وانحدرت من عينى «مىّ» الدموع، وحسبتها دموعى أنا لا دموع «مىّ»... فقد كان البكاء يخنقنى.

رأيها فى الديمقراطية

وسألت الأستاذ العقاد : هل كانت «مىّ» من أنصار إسماعيل صدقى؟

فقال : لقد كانت جريدتها «المحروسة» لسانًا من ألسنة الوفد.

- هل كانت تؤمن بالديمقراطية؟

فقال العقاد : لقد سبق أن أجبت عن مثل هذه الأسئلة، وأجوبتى كلها مسجلة فى كتاب «حياة مىّ». وفى ذلك يقول العقاد :

أذكر أننا تناقشنا فى الديمقراطية مرات، ولم نكن على

وفاق فى كل مرة.. وإن كان خلافنا على هذه المسألة أقرب إلى الفكاهة منه إلى الجد والتباين الصحيح فى الآراء.

كنت أرشح نفسى للانتخاب، فأشارت إلى حق المرأة فى الانتخاب للمجالس النيابية، فقلت لها إننى لو ملكت الأمر لما سمحت للمرأة بهذا الحق. قالت: ولم؟

فأجبتها: لأعتقادى أن المرأة بفطرتها غير ديمقراطية... فأنكرت ذلك أشد الإنكار.

وعدت أسألها: ترى لو أعطيت أنت حق الانتخاب - وأنت «ميّ» التى لا يشبهها كثيرات من النساء - ثم ذهبت إلى الصندوق وذهب إليه مرشحان أحدهما يسير على قدميه والآخر يركب سيارة فخمة فهل تظنين أنك تفضلين المرشح السائر على قدميه. أو تفضلين المرشح صاحب السيارة الفخمة؟

فقالت: لعلى أفضل الأول إذا كان مستحقًّا للتفضيل.

فقلت: لعلك تفضلين الآخر على أى حال.

فتظاهرت بالغضب، والتفت إلى السيدة والدتها - وكانت تسمع حديثنا - وسألتها: ما رأيك يا سيدتى فيمن تؤثره

كريمتك بالتفضيل. وأنت أعلم بها منى ؟

فضحكت والدة « مىّ » وقالت : الحق أن كل امرأة تفضل راكب السيارة على السائر على قدميه.

وهنا عادت « مىّ » تقول : ولم تظنون أن المرأة تخطئ فى هذا التفضيل ؟ ألا يمكن أن يرجع هذا إلى بداهة فيها توحى إليها أن تختار من تستقر على يديه الأمور ويبتعد بالأمم عن القلاقل والأزمات ؟

وانتهى الحديث بينها وبين العقاد بأن قال لها العقاد :

إن حكم السراة والنبلاء كان فى أكثر العصور مثار القلاقل والثورات، وما قامت ثورة قط إلا على أثر حكم يطغى فيه هؤلاء النبلاء !

ويستطرد الأستاذ العقاد فيقول :

وفى مرة أخرى كان قيصر روسيا مقبوضًا عليه فى انتظار المحاكمة أو النفى إلى مكان بعيد. وكانت « مىّ » تشايع القيصر، وترثى له، وتنعى ذلك على خصومه، فكنت أقول لها : إننى لا أود الألم والشقاء لإنسان، ولكنى كلما ذكرت القيصر منفيًا لم يسعنى أن أنسى رجلا عظيما مثل

«دستويفسكى» وهو منفى فى سيبيريا بأمر القيصر. ولم يسعنى أن أنسى ألوف العمال الذين قتلوا أمام قصر الشتاء بأيدى حراس القيصر.

هل كانت مجنونة

وسألت الأستاذ العقاد: هل أصيبت «مىّ» بالجنون حقًّا؟

فقال: هذا سؤال صعب، فلم تكن «مىّ» مجنونة، ولكن أعصابها انهارت نتيجة شعورها بالاضطهاد.

قلت: إن إجماع من عرفوها يكاد ينعقد على أن الكبت هو الذى حطمها ومزق أعصابها.

فقال: وهذا أيضًا صحيح.

وفى رأى العقاد أن «مىّ» كانت متدينة تؤمن بالبعث، وأنها ستقف بين يدى الله يومًا، ويحاسبها على آثامها، فكانت برغم شعورها بالحياة، وإحساسها العميق الصادق، وذكائها الوضاء، وروحها الشفافة، ورقتها وأنوثتها، تحرص على أن تمارس هذه الحياة بعفة واتزان.

ولقد أصيبت «مىّ» بالانهيار العصبي قبيل الحرب العالمية الأخيرة، وكانت قد سافرت إلى إيطاليا، وزارت البابا، وهناك جرى حديث بين الموجودين فى غرفة الانتظار عن إعادة الإمبراطورية الرومانية على يد موسوليني.. فقالت «مىّ» إن هذه الإمبراطورية هى التى صلبت المسيح، فلماذا تحرصون على عودتها ؟

وفى مساء هذا اليوم قابلت أحد أصدقائها من رجال المفوضية أو السفارة الفرنسية فى إيطاليا فقال لها : وزارة الداخلية الإيطالية تنظر إلى وجودها فى إيطاليا بعين الاستياء.. ونصحها ألا تفتح فمها بكلمة، فإن كل ما قالته أمس قد بلغ مسامع الدوتشى شخصيًّا.

واصفر وجه «مىّ»، وصممت على مغادرة الأراضى الإيطالية فى اليوم التالى.

عادت إلى مصر وقد تملكها شعور جارف بأن الإيطاليين سيقتلونها، فاعتكفت فى بيتها، وامتنعت عن مقابلة أصدقائها، وكانت تتصور أنهم سيقتلونها بتحريض من الدوتشى ورجال الجالية الإيطالية فى مصر. وبلغ من خوفها على حياتها أنها

طردت الطاهى والسفرجى وفتاة المنزل. وأحضرت جهازًا لتحليل ما تتعاطاه من طعام.. كانت تحلل اللبن، وتغسل الفاكهة بالمحلول المطهر، وتغلى الماء قبل أن تشربه.

وفى يوم من الأيام ذهب إليها أنطون الجميل وخليل مطران وإحدى قريباتها، ولم تكد تفتح الباب وتراهم حتى أغلقته فى وجوههم صائحة : أيها القتلة... ماذا تريدون ؟

وبعد ذلك رأى أهلها أن يعرضوها بالقوة على «كونسلتو» من الأطباء الإخصائيين، وقرر الأطباء وجوب إقامتها فى مستشفى للأمراض العصبية واختاروا لها مستشفى العصفورية فى لبنان.

وقامت ضجة كبيرة فى مصر والبلاد العربية حول هذا القرار، وظلت الصحف تنشر أخبار «مىّ» فى المستشفى، وكان بعض هذه الصحف ينفى عن أسرتها أنها تآمرت عليها، ويؤكد أن حالة مىّ تستدعى الراحة والاستجمام فى مستشفى للأمراض العصبية.. وكانت هناك صحف أخرى تتهم أسر مىّ بأنها تآمرت على عقلها.. لا بل على حياتها.

«مىّ» كما رأيتها

وقبيل سفر «مىّ» إلى لبنان أعلنت الجامعة الأمريكية أن «مىّ» ستلقى محاضرة فى قاعة يورت التذكارية.

وقبل الموعد المحدد لإلقاء المحاضرة كانت القاعة قد امتلأت على سعتها بالوافدين من جميع الطبقات.. جامعيين وأزهريين وعلماء وأدباء وصحفيين وسياسيين ورجال أعمال، شيوخًا وشبانًا وسيدات.

وعلى منصدة الخطابة جلس مدير الجامعة، وحوله أهل الفكر وأساطين الأدب، والأساتذة الجامعيون.. وتطلعنا إلى المائدة المعدة لجلوس «مىّ».. وقد انبهرت أنفاسنا شوقًا إلى رؤيتها.

لم أكن قد رأيتها قبل هذه اللحظة.. ولم تكد تشرق فوق المنصة حتى انطلقت الأيدى فى حرارة وعنف.. وإذا دوىّ التصفيق يسد النوافذ والأبواب ويملأ الشوارع المحيطة بالجامعة.

ووقفت «مىّ»، وتهيأت للكلام، فساد الهدوء أرجاء القاعة.. كانت ترتدى ثوبًا أسود، يطل منه وجه أبيض

مشرب بشيء قليل من الشحوب، ومن فوق الرأس شعرها اللامع المسدل فى بساطة وانسجام، وكان أشد سوادًا من ثوبها.

لم تكن قصيرة، ولم تكن طويلة.. كان قوامها نحيلا يريد أن يمتلئ، سمينًا يريد أن ينحل.

وظلت «مىّ» تتكلم ساعتين عن الإنسانية والفكر والمحبة والسلام، وقد استهوتنا جميعًا بنبراتها العذبة، وصوتها الهادئ الحلو العميق، وإشاراتها ونظراتها وحسن استعمالها للفتات رأسها.. استهوتنا بنضارتها الفاتنة، نضارة الفكر، ونضارة الوجه والقوام.

وعندما غادرت القاعة اصطدمت بشيخ معمم ينظر فى منديله بكلتا عينيه، لم يكن ينظر فى المنديل ولكن كان يمسح دموعه!

كان هذا الشيخ هو الأستاذ الأكبر الفيلسوف الأديب الفنان مصطفى عبد الرازق.

مؤامرة على سر امرأة
لطفى السيد يمنع نشر رسائل الكتاب المغرمين
١٠٠ من أهل الفكر يتغزلون فى «مىّ»

منع لطفى السيد نشر الرسائل التى تلقتها «مىّ» من حوالى مائة كاتب أو مفكر وشاعر وفيلسوف.. بينهم مصريون ولبنانيون وإيطاليون وألمان وفرنسيون وإنجليز.

لقد قال لمن أعدوا الرسائل للنشر، هذه مؤامرة على سر امرأة.

لماذا وقف أستاذنا لطفى السيد هذا الموقف! لماذا حجب عن التاريخ حقيقة فكرية عاطفية إنسانية عالمية تتمثل فى مئات الرسائل بأقلام كتاب وشعراء وفلاسفة بمختلف اللغات ومختلف الأساليب!

هل خاف من إذاعة رسائله إلى «مىّ»؟ هل تضمنت هذه الرسائل من العواطف والمشاعر ما يحتمل أن يخف معه

وقار الأستاذ الكبير والفيلسوف الجليل؟

وفى أوائل عام ١٩٤٢، أى بعد وفاة «مىّ» ببضعة أشهر، عكف أقارب «مىّ» على بحث أوراقها الخاصة، فوجدوا مئات الرسائل بمختلف اللغات، وكانت هذه الرسائل تضم عشر رسائل من كتاب أجانب، بينهم الفرنسى والإيطالى والألمانى والإنجليزى والهندى.

أما بقية الرسائل فهى من أئمة الأدب والفكر ممن عرفوا «مىّ» واتصلت بهم اتصالا أدبيًا مباشرًا، أو اتصالا غير مباشر عن طريق تبادل الرأى فى الكتب الخاصة أو على صفحات الجرائد والمجلات الأدبية فى مصر وسوريا والعراق ولبنان.

وتولى الأستاذان أنطون الجميل وخليل مطران فحص هذه الرسائل وتنسيقها، وإعدادها للنشر، فقد انطوت على آراء وأفكار وعواطف، وكل أصحابها من أساطين القلم وأعلام الكتابة. كان فى مقدمتهم أحمد لطفى السيد، وشبلى شمّيل، ومصطفى عبد الرازق، وخليل مطران، وجبران خليل جبران، وأنطون الجميل.. وولىّ الدين يكن، وشبلى الملاط، وبشارة

الخورى، ويعقوب صروف، وطه حسين، وعباس محمود العقاد، وتوفيق الحكيم، ومصطفى صادق الرافعى.. إلخ، واتصل أنطون الجميل وخليل مطران ببعض أهل الرأى، وتشاوروا معهم فى أمر هذه الرسائل : أينشرونها كما هى أم يتصرفون بحذف الأشياء التى قد تثير من التساؤل والظن ما قد يحرج أصحاب الرسائل ولا يجعلهم فوق مستوى الشبهات ؟

وأجمع الرأى على أن الأمانة تقتضى نشر الرسائل دون التصرف فيها بحذف أو تعديل. ولما سئل الأستاذ الدكتور طه حسين فى ذلك قال : - هذه ثروة فكرية إنسانية لا ينبغى العبث بها، وشجع أنطون الجميل وخليل مطران على نشرها كاملة خدمة للحقيقة والتاريخ.

لطفى السيد يعارض

وقال أنطون الجميل لخليل مطران :

يحسن أن نسأل لطفى السيد فى هذا الموضوع. وقال خليل مطران إن جواب لطفى السيد عن هذا السؤال معروف منذ

الآن. إنه سيوافق على النشر من غير جدال! فلطفى السيد متقدم فى تفكيره عن أهل جيله بمائة عام!

وقابلا لطفى السيد وعرضا عليه الفكرة. ودهشا عندما قال لهما لطفى السيد إنه يعارض الفكرة، وعلى طريقته فى الجدال سألهما: لماذا تنشران هذه الرسائل؟!

فقالا: ننشرها للحقيقة والتاريخ.

وقال لهما لطفى السيد: وهل أنتما موكلان بالحقيقة والتاريخ؟

وتولى خليل مطران مناقشة لطفى السيد فقال:

كل إنسان مكلف بأن يبحث عن الحقيقة، وأن يساهم فى كتابة التاريخ.

فقال لطفى السيد: وإذا تعارضت الأخلاق الفاضلة مع الحقيقة فهل ننشر الحقيقة أو نرعى الأخلاق؟!

وقال خليل مطران: لكى نجيب عن هذا السؤال ينبغى أن نعرف هل الحقيقة غاية أو هى وسيلة؟ إن كانت وسيله فقد وجب ألا تتعارض مع الأخلاق، وإن كانت غاية فقد وجب أن نذيعها مهما تكن الظروف والملابسات!

قال لطفي السيد : إن الحقيقة غاية ووسيلة معًا، وهي في الوضعين لا ينبغي أن تكون عارية. بل يجب أن يكون لها ستر لا يتنافى مع الأخلاق الفاضلة.

وقال خليل مطران : إن الرسائل التي كتبها كبار الأدباء والمفكرين إلى مىّ ليس فيها شيء يمس العفة أو يخدش الحياء... إن فيها تعبيرًا عن حب غامض، أو صبابة مبهمة، فهل في هذا ما يتعارض مع العفة أو الخلق أو الحياء!

وقال لطفي السيد : لا يعنيني ما تضمنته هذه الرسائل... لا يعنيني أن تنم عن حب غامض أو حب صريح، ولا أن تشي بصبابة مبهمة أو صبابة واضحة، ولكن ما يعنيني هو أن هذه الرسائل سر أودعه أصحابها بين يدي «مىّ» فصار سرها هي، لا أحد سواها يملك إذاعته، حتى الذين كتبوا هذه الرسائل لا يملكون أن يذيعوها.. إن «مىّ» هي التي تستطيع أن تذيع السر إذا شاءت، وهي لم تشأ أن تذيعه، وليس أدل على ذلك من أنها لم تنشر الرسائل التي تلقتها، ثم إنها لم ترض بنشرها، فكيف تجرؤون على نشر الرسائل دون الرجوع إليها؟ وكيف ترجعون إليها وقد أصبحت لا تملك رأيًا ولا حجة ولا إرادة!

إن المنطق السليم يحتم أن تظل هذه الرسائل هى وجثمان «ميّ» سرًّا فى مقبرة واحدة!

وقال خليل مطران: يا سيدى هذه وثائق إنسانية فكرية.

فقال له لطفى السيد: يا سيدى هذه مؤامرة على سر امرأة!

وعلى إثر هذه المناقشة استقر رأى أنطون الجميل وخليل مطران على إرجاء نشر الرسائل إلى وقت آخر، وأسلما الرسائل لسيدة مجهولة من قريبات «ميّ» ومات أنطون الجميل وخليل مطران، ولا تزال رسائل مائة الكاتب والمفكر والفيلسوف راقدة فى مكان لا تعلمه إلا هذه السيدة المجهولة.. ومن يدرى لعل السيدة قد وضعت الرسائل مع جثمان «ميّ»، أو لعلها أحرقتها!

سر المعارضة

ويبقى الآن سؤال:

أعارض أستاذنا لطفى السيد فى نشر الرسائل التى تلقتها «ميّ» إيمانًا منه بوجوب الدفاع عن سر «ميّ»، أم أراد أيضًا

أن يدافع عن سره هو؟ فإن بين هذه الرسائل كلمات وجهها لطفى السيد لمىّ، وفى هذه الكلمات كثير من نبض قلبه، وومض عاطفته، ونبرات مشاعره المشبوبة بالهوى والهيام! نعم! فقد أغرم لطفى السيد «بمىّ» وشغف بها حبًّا.

وكان لطفى السيد يزور «مىّ» فى أيام أخرى غير يوم الثلاثاء الذى أعدته لاستقبال الأدباء والفنانين وأهل الرأى.

كان يزورها وحده حينًا، ويزورها وفى صحبته الدكتور طه حسين حينًا، وكان ثلاثتهم يقضون الساعات فى دراسات أدبية.

إن أستاذنا الكبير مثل أى فيلسوف ظل يبحث عن الحقيقة، ولم يجدها، ولقد ظل كذلك فترة من حياته يبحث عن حبه فى قلب «مىّ»، وكان نصيبه من الحب مثل نصيبه من الحقيقة: بحث ولم يجد، وسعى ولم يصل!

وكانت «مىّ» تأنس إليه، وتثق فى عقله وعاطفته، وعندما أصيبت بمرض الشعور بالاضطهاد قابلته مرة واحدة، ثم صرفته عن مقابلتها برفق ورحمة، على حين أغلقت بابها بعنف فى وجوه الآخرين، وأعلنت أنها قررت العزلة والابتعاد عن الناس.

طه حسين يصف عزلة «ميّ»

ويصف الدكتور طه حسين وحدة «ميّ» وعزلتها فيقول :

مضت «ميّ» فى طريقها إلى العزلة مضيًّا رفيقًا، أو قل إنها تدرجت بطيئًا فى أول الأمر، ولكنه سريع ملح آخر الأمر. أخذ ميلها إلى العزلة يظهر بعد أن فقدت أبويها، وبعد أن غمر الحزن نفسها المشرقة، ولكنها لم تقطع صلتها بالناس فجأة، وإنما قللت لقاءهم، وتجنبت ما يدعو إلى هذا اللقاء، وكنت بين الذين شرفتهم بصداقتها، فكنت ألقاها بين حين وحين، فنستخلص لأنفسنا من الدهر وأحداثه ساعة أو ساعات نتحدث فى الأدب والفلسفة، جادين حينًا ومازحين حينًا آخر، وكان سكرتيرى ثالثنا فى هذه الاجتماعات، وكان لنا رابع يحضرنا دائمًا، ولكنه لم يكن يفهم عنا.. ولعلنا كنا نفهم عنه كثيرًا، وهو ذلك الإبريق الذى كان ممتلئًا دائمًا من شراب الورد، والذى كنا نستسقيه غير مرة فى هذ المجالس العذبة المرة.. ذلك أن «ميّ» كانت فى طور الحزن اللاذع، والألم الممض، والتشاؤم الذى كان يسرع إليها

كما كانت تسرع إليه، وطالما دافعت عنها هذا التشاؤم، وطالما حاولت أن أرد عنها هذا الحزن المهلك، ولكنى لا أكاد أدنو إلى النجاح إلا ليردنى الإخفاق فيما كنت أريد ردًا عنيفًا.

وكنت أريد أن أستنقذ «مى» من تشاؤم أبى العلاء كما كنت أريد أن أستنقذها من الإسراف فى التأثر برجال الدين، ولكن أبا العلاء ورجال الدين كانوا أقوى منى ومن غيرى أيضًا!

وربما كان أظهر شىء لزم حياة «مى» فى هذا الطور من أطوارها حبها لحياة القدماء وآثارهم، وإلى حبها فى قرارة التاريخ، وحرصها على زيارة الآثار والوقوف أمامها صامتة مرة ومتحدثة إليها أو متحدثة عنها مرة أخرى. وقد ألححت عليها غير مرة فى الخروج من دارها للرياضة، فكانت تتمنع وتأبى، ولكنها قالت لى ذات يوم إن كنت تريد أن أخرج فاصحبنى إلى الهرم، فإنى أحب أن أشهد هذه الآثار، وأن أقف موقف عبرة واتعاظ أمام أبى الهول..

وقد صحبتها إلى هذه الآثار غير مرة، وكانت أحاديثها عن الروح المصرى القديم من أروع الأحاديث وأعمقها تأثيرًا فى النفوس.

هذا ما سجله الدكتور طه حسين بقلمه عن عزلة « ميّ ».

وقبيل وفاتها اتصل بها الدكتور طه فى التليفون، وطلب أن يلقاها، فاعتذرت، قال لها سأزورك اليوم..

فقالت : لا..

قال : سأزورك غدًا..

قالت : لا..

قال : إذن متى أزورك ؟

فقالت : لا تزرنى أبدًا !

قال : لماذا يا سيدتى ؟

قالت : هل تريد أن تعرف السبب ؟

قال : نعم.

قالت : لقد قررت ألا أقابل أحدًا من الناس إلا رجال الدين... إذا أردت أن ترانى فكن قسيسًا.

فقال : ماذا ! أكون قسيسًا ؟

قالت : كن قسيسًا.

فضحك الدكتور طه وقال :

سيدتى يعز على ألا أراك، ويستحيل أن أكون قسيسًا !

الأمير الذى حاول خطف معبودة الأدباء

العاشقان : ولى الدين يكن
مصطفى عبد الرازق

حاول أحد أمراء المغرب خطف « مىّ » فحاصر بيتها بأعوانه . . واقتحموا البيت يقودهم الأمير. ولكنهم لم يجدوا « مىّ »، ووجدوا قوة من رجال « البوليس ».

كثيرون أحبوا « مىّ »، ولقد كان حب الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق « لمىّ » مثال العفة والحياء . . وكان الشاعر ولى الدين يكن يحبها باشتهاء وجسارة. فى أوائل عام ١٩٢٠ زار مصر أمير مغربى اسمه الأمير محمد الجزائرى، ونزل فى فندق دار السلام، بالحى الحسينى، واتخذ له مجلسًا فى أحد مقاهى خان الخليلى، والتف حوله كثيرون من شباب المغرب الذين كانوا يطلبون العلم فى الأزهر الشريف. وكان الأمير يبسط سلطانه عليهم، وقد جعل منهم حاشية تحف به كلما مشى أو جلس.

وضاق مجلس الأمير فى قهوة خان الخليلى بأهل المغرب المقيمين فى مصر من تجار ورجال دين وغيرهم.

وذاع عن الأمير أنه رب السيف والقلم، فهو فارس شجاع، وشاعر فحل، وحجة فى فقه اللغة.

وكان الأمير ينفق عن سعة لفتت إليه أنظار الأدباء البائسين، والشعراء المغمورين، فأحاطوا به، وانهالوا عليه بعبارات الإطراء والمديح وانهال عليهم بالقصائد والعطايا.

كانت القصائد رديئة، وكانت العطايا حسنة!

وانتقل مجلس الأمير من خان الخليلى إلى حى الأزبكية، وهناك عرف كثيرًا من الشعراء والأدباء من أمثال خليل مطران وحافظ إبراهيم ومصطفى لطفى المنفلوطى ومصطفى صادق الرافعى ومحمد السباعى وعبد الرحمن البرقوقى وحسين شفيق المصرى.

وقد ذكر لى الشاعر خليل مطران أن الأمير كان إذ ذاك فى الأربعين من عمره، يمتاز بعينين واسعتين، ولحية صغيرة مذببة، تبدأ من الصدغين بخطين رفيعين، وتنتهى فى أسفل الذقن بكومة صغيرة من الشعر، تتدلى منها بضع شعيرات أشبه بنصف شارب مفتول.

وكان الأمير طويل القامة، ممتلئ الجسم، يرتدى البرنس المغربى، وقد طرح طرطوره وراء ظهره، ولم يره خليل مطران يلبس الطرطور فى الصيف ولا فى الشتاء.

وكانت قسمات وجهه مريحة: أنف طويل، وفم دقيق الشفتين، رقيق الشاربين، وجبهة عريضة، وشعر رأسه أسود لامع، وكانت بديهته حاضرة، وطريقته فى المناقشة تدل على ما يمتاز به من ذكاء وفطنة.

ورأى خليل مطران أن يقدمه إلى «مىّ»، فصحبه إلى صالونها فى جلسة من جلسات الثلاثاء، ولم يكد يرى «مىّ» ويستمع إلى حديثها العذب، وصوتها الناعم الرقيق، حتى استخفه الإعجاب، فأنشد بين يديها قصيدة وصف فيها جمالها وذكاءها.

وكان الخطاط نجيب هواوينى حاضرًا فى هذه الجلسة، فكتب القصيدة بخطه بالحبر الشينى.. وقد اقتضى ذلك أن يسمع الحاضرون قصيدة الأمير مرة أخرى، وقد احتملوها على الرغم من ركاكتها وتفاهتها.

وظل الأمير يتردد على زيارة «مىّ» فى يوم الثلاثاء، وفى

غير أيام الثلاثاء، وكان يغمرها بالهدايا، ولم يبد من تصرفاته ما يبعث على الخوف منه أو إساءة الظن به.

وفى أحد الأيام كان خليل مطران وأنطون الجميل وإسماعيل صبرى ونجيب هواويني وإحدى سيدات أسرة شكور يتناولون الشاى فى دار «ميّ» ولاحظت «ميّ» على خادمها أنه مضطرب، فظنته مريضًا وسألته : ما بك يا حسن؟ فبكى الخادم، وغادر «الصالون» إلى المطبخ، وأخذ ينتحب بصوت مزعج.

وهرعت إليه «ميّ» ومن معها ليسعفوه فقال لهم : أنا لا أستحق الشفقة... أنا خنت العيش والملح!

وقص عليهم الخادم أن الأمير المغربى أعطاه عشرة جنيهات... ويبكى

قال خليل مطران للخادم، وهو يربت على كتفه : وماذا جرى؟ هذه هدية أمير! وهدايا الأمراء لا ترد!

قال الخادم : إن الأمير لم يعطنى هدية... الأمير أعطانى رشوة... طلب منى أن أساعده على خطف الست الليلة، وأنا قبلت!

وأخرج الخادم من جيبه الجنيهات العشرة، ورمى بها فوق الأرض. وقال «لمىّ» : سامحينى يا ستى . . .

واستأذن فى ترك خدمتها.

لكن مىّ تمسكت به، وأعطته الجنيهات العشرة، وقالت له : ستظل معى إلى أن أموت، واعتبر هذه الجنيهات مكافأة منى لك !

قال حسن الخادم : لقد اتفق الأمير مع أعوانه على تطويق البيت فى الساعة العاشرة من مساء اليوم. وطلب منى أن أكمن داخل الشقة دون علم الست حتى إذا فتحت له الباب اقتحم غرفة النوم، وأوثق الست بالحبال وكمم فمها، ثم يأخذها فوق حصانه بحراسة أعوانه، ويعقد عليها قرانه بالقوة.

ودهش الحاضرون وهم يسمعون القصة، وهاج الأستاذ نجيب هواوينى، وقال : يجب أن ننتظر هنا حتى إذا جاء الأمير عرف أن فى العرين أسودًا !

وعلا صوت هواوينى وهو يقول : استعدوا بالحبال لكى نوثق الأمير ونعلقه فى السقف مكان هذه النجفة.

وقد استنكر الجميع حماسة هواوينى، وقال خليل مطران :

ليس هناك ما يدعو إلى أن يعرف الأمير أن فى العسرين أسودًا، ولكن يجب أن يعرف أن فى مصر «بوليسًا».

وأسرع خليل مطران واتصل بالمحافظة، وأبلغها النبأ، وفى الحال قامت قوة من رجال البوليس، ووصلت إلى بيت «مىّ» وكمنت فيه، وغادرت «مىّ» بيتها، وذهبت مع صديقتها حيث باتتا معًا فى دار الصديقة، وهى من أسرة شكور المعروفة.

وفى الساعة العاشرة مساء كانت الدار مطوقة بعشرة من الفتيان المغاربة، وقد تسلحوا بالخناجر والسيوف، ثم وصل الأمير، وكان شاهرًا سيفه، ودخل البيت وخلفه خمسة من هؤلاء الفتيان، وطرق الباب، ففتح له حسن الخادم، ودخل الأمير ومن معه، ومشوا على أطراف أصابعهم حتى يفاجئوا «مىّ» وهى نائمة، لشدها بالحبال تمهيدًا لخطفها.. وإذا هم يفاجأون برجال البوليس، وقد شهروا فى وجوههم المسدسات، وطالبوهم برفع أيديهم إلى أعلى.

وألقى رجال البوليس القبض على الأمير ومن معه، وكانت قوة أخرى من رجال البوليس قد اختبأت فى الشوارع المؤدية لبيت «مىّ»؛ وقد تولت هذه القوة القبض على الفتيان

المغاربة الذين انتظروا خارج البيت وساقوهم إلى المحافظة، ومعهم الحصان الأبيض : حصان الأمير الذى أعده ليحمل عليه «مىّ». وبعد لحظات لحق الأمير بحصانه فى ساحة المحافظة !

وتولى المحافظ بنفسه التحقيق مع الأمير وأعوانه، وتدخلت السلطات الفرنسية فى الأمر، فأفرج عن الأمير ومن معه، بعد أن تعهدوا بألا يقوموا بمثل هذه المحاولة. وقال الأمير إنه يأسف لما حدث، وإنه لم يكن يريد «بمىّ» سوءًا، لقد أراد أن يتزوجها.

وبعد يومين عادت «مىّ» إلى بيتها، وانقطع الأمير بطبيعة الحال عن زيارتها، ثم غادر مصر نهائيًا، ولم يعد إليها بعد ذلك.

العفة والحياء

كان مفروضًا عندما بدأت أكتب عن «مىّ» أنى سأتكلم عمن أحبوها، ولقد ذكرت بعضهم، وادخرت لنهاية الموضوع عاشقين : أحدهما الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق،

والآخر الشاعر ولى الدين يكن.

أما مصطفى عبدالرازق فقد أحبها فى عفة وحياء.

ويعتقد أنطون الجميل أن الشيخ مصطفى لم يعبر عن حبه بالكلمة المسموعة، وإنما عبر بالكلمة المكتوبة، عبر بهذه الرسائل الثلاث التى وجدت بين الرسائل التى تركتها «مىّ» بخط الشيخ مصطفى. إحداها كتبها من باريس والرسالتان الأخريان كتبهما من أبو جرج بمديرية المنيا.

قال لى أنطون الجميل إن الشيخ مصطفى بلغ فى رسالته التى كتبها من باريس ذروة الرقة والذوق، وحرارة التعبير... كان يحدثها عما لقيه فى باريس، وعن ذكرياته وتأملاته والمعالم التى زارها، وعن زيه الشرقى الذى تركه حينًا ليعود إليه بعد انتهاء رحلته. وقال لها: «وإنى أحب باريس... إن فيها شبابى وأملى! ومع ذلك فأنا أتعجل العودة إلى القاهرة... يظهر أن فى القاهرة ما هو أحب إلىّ من الشباب والأمل!»

العاشق الجسور

والعاشق الجسور هو ولى الدين يكن.. كان شاعرًا

رقيقًا، وكاتبًا نابض التعبير، قوى الأسلوب، وقد اتجه فى الشعر والنثر اتجاهًا جديدًا تحرر من العبارات التقليدية، وتمرد على طريقة القدامى. وقد وضح تحرره وتمرده فى كتبه: «الصحائف السود» و«التجاريب» و«المعلوم والمجهول». وفى رسائله الأدبية، ومقالاته السياسية؛ ووضح تحرره وتمرده أيضًا فى بعض أشعاره. كان خصمًا عنيدًا للسلطان عبد الحميد. ولقد نفاه السلطان إلى «سيواس»، وظل فى المنفى حتى أعلن الدستور العثمانى عام ١٩٠٨، فجاء إلى مصر، وعيّن موظفًا فى الحكومة المصرية، ثم اختاره السلطان حسين فى عام ١٩١٤ شاعرًا للحضرة السلطانية.

هذا الشاعر الحر المتمرد على الملوك انتهى به المطاف بين السجن والمنفى والتشريد إلى أن يصبح شاعر السلطان!

ولقد اضطر إلى ذلك اضطرارًا فقد عانى الفاقة والفقر وشظف العيش، وأصيب بمرض الربو، ولم يكن لهذا المرض دواء.

فى هذا العام بالذات، عام ١٩١٤.

عرف ولى الدين «مىّ» وأحبها وأحبته، وأخذ يبثها غرامه

شعرًا ونثرا. وأخذت تبثه غرامها كلامًا شفويا صريحًا، كلامًا مكتوبًا غير صريح.

وكان ولّى الدين أنيقًا فى زيه، جميل الصورة، خفيف الروح، وكان مهذبًا ورقيقًا، يجيد الحديث والإصغاء معًا. وكان حلو الابتسامة يعرف كيف يجذب المرأة إليه بكل ما فيه من مزايا.

كان ولى الدين يكبر «مىّ» بحوالى خمسة عشر عامًا، وكان يلقاها مع الناس وفى المساء وحده أو مع آخر. وقال لى أنطون الجميل إن العفاف كان رابعهم.. أما الثالث فكان أنطون الجميل نفسه.

وكان أنطون الجميل يعتقد أن علاقة ولى الدين «بمىّ» هى علاقة شاعر بكاتبة، وأن ما كانت تبديه «مىّ» من عطف على ولّى الدين مبعثه الحقيق الشفقة عليه... فقد كان تعيسًا مريضًا.

وكان ولى الدين فى كلماته وعواطفه مصريًّا صميمًا على الرغم من أنه ولد فى الآستانة، وحضر إلى مصر طفلًا، وتعلم فى المدارس الفرنسية وأتم تعليمه فى فرنسا، وعاش فى تركيا وتوظف فى السراى.

كتب ولى الدين إلى صديقه أنطون الجميل يصف مرضه، وذهب الجميل إلى «صالون مىّ» وتلا ما كتبه ولى الدين بصوت مسموع، وإذا «مىّ» تنتفض من الألم، وتنشج بالبكاء، وكان ذلك فى عام ١٩١٨، وهذه هى الكلمات التى انتفضت لها «مىّ» وانتحبت باكية:

«أنا فى يأس شديد من زوال هذا المرض الذى عجز الطب عن دفعه، وهو المسمى «الربو».. إذا دجا الليل تكاثرت مخاوفى فلا يغمض جفناى فرقًا؛ لأنى لا أغفى إغفاءة إلا وأنتبه صارخًا مذعورًا. إذ تنقطع أنفاسى، ويشتد اضطراب قلبى، وتبرد يداى ورجلاى، فأختلج فى مكانى وأتلوى. تلوى الأفعى ألقيت فى النار.. أريد تنفسًا أستعيد به ما يوشك أن يذهب عنى من الحياة فلا أجده، حتى إذا بللنى العرق، وأنهكنى التعب، عاودتنى أنفاسى شيئًا فشيئًا، وذهبت النوبة على أن تعود بعد ساعة أو ساعتين.. ومصير مثل هذا المرض معلوم، وهو مذكور فى كتب الطب، لم يختلف فيه طبيبان.

لا أدرى هل من الموت وما أنتظر من أهواله يزداد جزعى؟ وما تطلع شمس يوم إلا زادتنى قربًا من قبرى!

والهفى على آمال تحولت آلامًا !.. واحسرتى على أيام عمر ما ضحكت لى مرة إلا جعلت دموعى لها ثمنًا»!

أيام الغزل

وخفت وطأة المرض على ولى الدين، واستطاع أن يستأنف عمله فى السراى، ويستأنف زيارته «لمىّ» وكان يستعيض عن الزيارة بالكتابة إليها فى موضوعات أدبية مشوبة بالغزل.. أو موضوعات غزلية مشوبة بالأدب.

يقول لها فى إحدى رسائله : «إنك بلبل الشعر الصادح فى روض الحياة»، ويقول لها وقد انقطع عن زيارتها بعد جفوة لم تدم غير بضعة أيام :

تمسين ناسية، وأمسى ذاكرًا ... عجبًا أشاعرة تهاجر شاعرًا
فهل الملائك كالحسان هواجرًا ... إن الملائك لا يكن هواجرا
إن كنت لا أسعى لدارك زائرًا ... فلكم سعى فكرى لدارك زائرا

وقال يخاطب طيفها فى المنام :

عيناك عيناها كذا كانتا ... والوجه ذاك الوجه لم يبدل

أعرف لحظتها برغم النوى ... فكم أصابا قبل ذا مقتلى
يظل قلبي خافقًا هكذا ... كأنه ألق فى مرجل
إن كان هذا مادعوه الهوى ... فمثل هذا الليل لا ينجلى
يا مهجتى يا جلدى يا صبا ... إن لم أمت وجدًا فلا يد لى!

ويقول لها :

أعلمت الهوى الذى أخفيه؟ ... أى سر يا «ميّ» لم تعلميه؟

وقد رأى جامع الديوان أن يحذف عبارة يا «ميّ» ويضع مكانها هذه العبارة «فى القلب».

فصار البيت فى الديوان هكذا :

أعلمت الهوى الذى أخفيه؟ ... أى سر فى القلب لم تعلميه؟

وجامع الديوان هو يوسف حمدى يكن شقيق ولى الدين . . وكانت «ميّ» تعانى فى حياتها آلامًا نفسية شديدة، وشكت لولى الدين مما تلقاه :

مظلومة تشكو إلى مظلوم ... هذى همومك هل عرفت همومى!
مافى الزمان ولا بنيه كرامة ... فيصان قدر كريمة وكريم

وعاود المرض ولى الدين، فاعتكف فى بيته بحلوان،

وزارته «ميّ» وكان معها خليل مطران، فقال ولى الدين قصيدته المشهورة :

تبدّت مع الصبح لما تبدّى   فأهدت إلىّ السلام وأهدى
تقابل فى الأفق خداهما   فحييت خدًّا وقبلت خدًّا
لقد بدل الله بالبعد قربًا   فلا بدل الله بالقرب بُعدا
تعالى فجسّى بكفك كبدى   إذا كان أبقى لى الهجر كبدا

وكانت هذه هى زيارة «ميّ» الأولى والأخيرة للشاعر ولى الدين.

واشتد المرض على ولى الدين، وكانت «ميّ» تتتبع أخباره فى حزن ولهفة، وكان شقيقه يوسف حمدى يكن يذهب إليه فى حلوان كل يوم، ويعود إلى القاهرة حيث يقابل «ميّ» ويشرح لها حال أخيه شرحًا دقيقًا، فكانت تسأله عن درجة حرارته فى الصباح، ودرجة حرارته فى المساء، وكيف حال السعال؟ وما هو رأى الطبيب.. وكان ذلك كله على مسمع من زوارها. وكانوا جميعًا يحترمون عاطفتها، ويجاملونها بإبداء الحزن والأسى على ولى الدين، متمنين له الشفاء.

نشرات منظومة

وفى إحدى الليالى جاء يوسف حمدى يكن من حلوان، وكان مكفهر الوجه، وأعطى «مىّ» ورقة بخط أخيه ولى الدين، ولم تستطع أن تتم تلاوة الورقة، وكانت تحتوى على هذه الأبيات :

عمر الشباب لقد مضيت محببًا ... وتركت لى عمرًا سواك بغيضا
أمحى وتثبتنى الشقاوة كارهًا ... مثل الكتاب يكابد التبييضا
عودت أمراضى وطول تألمى ... حتى كأنى قد ولدت مريضا!

وبعد أسبوع جاء يوسف حمدى يكن ومعه ورقة أخرى بخط ولى الدين، وكانت تتضمن بيتين من الشعر، فقال خليل مطران هذه نشرات صحية منظومة! ولم تضحك «مىّ» لمداعبة مطران، وأخذت الورقة وقرأت بصوت مخنوق بالدمع هذين البيتين :

مت يا ولى الدين مت ... ما ثَمّ من يبكيكا
ودع حياتك هذه ... ما ذقته يكفيكا

وقبيل وفاة ولى الدين بأيام أرسل إلى «مىّ» هذين البيتين :

ياجسدًا قد ذاب حتى امحى إلا قليلاً عالقًا بالشقاء
أعانك الله بصبر على ما ستعانى من قليل البقاء !

وفى يوم الأحد ٦ مارس من عام ١٩٢١ انطفأ اللهب فى قلب ولى الدين ليشب فى قلب «مىّ» حريقًا.. فقد بكته بعنف، وحزنت عليه وكان خياله يطاردها فى النوم واليقظة، ولبست عليه السواد عامين، وكان كلما جرى ذكره تندت عيناها بالدموع.

وهكذا كانت «مىّ» أسطورة فى قلوب العشاق وخيال الشعراء وكانت أيضًا حقيقة كبيرة.

ولقد عرفت الأسطورة وبقى أن تعرف الحقيقة.

الأسطورة.. والحقيقة

كانت «مىّ» تغنى للطفى السيد وطه حسين. والتابعى والمازنى يسخران من أسلوبها.

وقف الأستاذ محمد التابعى والأستاذ إبراهيم المازنى من الآنسة «ميّ» موقف السخرية والتهكم والتجاهل لمكانها الأدبى المرموق.

كانت «ميّ» فى خيال الناس أسطورة، وكانت فى عالم الأدب العربى حقيقة كبيرة. كانت صاحبة أسلوب ومذهب، وكان «صالونها» الأدبى ثانى «صالون» أدبى لسيدة فى مصر.. أما «الصالون» الأول فكان للأميرة نازلى فاضل. وكانت شيئًا آخر غير عائشة التيمورية وباحثة البادية ملك حفنى ناصف.

إن «صالونها» فى العصر الحديث يشبه صالون السيدة سكينة بنت الحسين فى صدر الإسلام.

كانت السيدة سكينة تنقد الشعر وتولع بالغناء.. وكانت «ميّ» تجتمع بالشعراء والكتاب، وكانت تغنى.

إن «ميّ» التى ألهبت قلوب المفكرين والشعراء والكتاب بالشوق واللهفة لم تكن مجرد فتاة تنبض أنوثة وتشع ذكاء.. ولكنها كانت مفكرة ممتازة وصاحبة أسلوب فى التعبير وكانت ثقافتها متنوعة شاملة. درست الآداب والتاريخ والفنون والفلسفة وكثيرًا من العلوم، وأتقنت عدة لغات أجنبية، فقد ألفت بالفرنسية، وكتبت مقالات بالإنجليزية، وراسلت كثيرين

باللغتين الألمانية والإيطالية. كانت أديبة كبيرة، بل كانت أديبًا كبيرًا..

وقد احتفى بها المفكرون المعاصرون لها، وقدروا آثارها، وكان هؤلاء المفكرون يمثلون اتجاهات كثيرة تجعل فهمهم للحياة والأدب شديد الاختلاف والتناقض، ولكنهم لم يختلفوا في فهمهم «لمىّ» وإعجابهم بمكانتها الأدبية، كان بينهم المؤمنون والملحدون، والأذكياء وأنصاف الأذكياء، والملتفتون إلى الماضي والمتجهون إلى المستقبل، والمجددون والمقلدون وأصحاب الثقافة الأجنبية وحدها وأصحاب الثقافة العربية وحدها، والجامعون بين أكثر من ثقافة.

وهم جميعًا يهاجم بعضهم بعضًا بعنف، وكانت معاركهم القلمية تتناول الأعراض والعقائد والسلوك الشخصي، وقد استعملوا فيها عبارات تقع تحت طائلة القانون، وتراشقوا بتعبيرات مقذعة وحشية.. تعبيرات لها فحيح وعواء ونباح، تعبيرات ذات أظافر وأنياب.

فإذا ما تكلموا عن «مىّ» نسوا معاركهم وخلافاتهم وأجمعوا على تقديرها.

التابعى

كلهم كانوا كذلك إلا اثنين : محمد التابعى وإبراهيم المازنى. كان التابعى يسخر من «ميّ». وقد عبر عن هذه السخرية بمقالات قصيرة نشرها فى مجلة «روز اليوسف» بدون توقيع؛ لأنه كان لا يزال موظفًا فى مجلس النواب، ولم يكن يوقع أى مقال يكتبه. وقد هزأ فى هذه المقالات بأسلوب «ميّ» وطريقتها فى التعبير، وكان يسمى ما تكتبه «الشعر المنثور» أو «النثر المشعور»!

وقد كتب عدة مقطوعات حاكى بها أسلوبها مبالغة فى السخرية منها، وسألت التابعى عن سر حملته على «ميّ» فقال :

- إنها لم تكن حملة، ولكن كانت مداعبة أو «شقاوة»!

فقد كنت آخذ عليها أنها عندما تكتب تستعرض معلوماتها العامة. فما من مرة كتبت أو خطبت إلا استشهدت بمثل لاتينى، أو حكمة صينية، أو بيت من الشعر العربى، أو كلمة مأثورة لشكسبير الإنجليزى أو دانتى الإيطالى، أو لامرتين

الفرنسي، أو جوته الألماني. وأنا لا أحب الكتاب الذين يستعرضون معلوماتهم.

وسألته عما إذا كان قد زار «صالونها» الأدبي؟ فضحك وقال:

- كيف يمكن ذلك وقد كنت شابًا صغيرًا؟

ثم قال إنه لم يرها في حياته إلا مرة واحدة.

ولما سألته: متى رآها

قال: منذ عشر سنين.

قلت له: ولكن «ميّ» ماتت منذ أربعة عشر عامًا.

فقال: هل ما أقوله لك للنشر أو للحقيقة والتاريخ؟

قلت: للحقيقة والتاريخ.

فقال: لقد رأيت «ميّ» لأول مرة وآخر مرة في «كازينو سان استفانو» بالإسكندرية عام ١٩٢٨، وكانت واقفة في بهو الكازينو مع أستاذنا أحمد لطفي السيد.

والمازنى

أما المرحوم إبراهيم عبد القادر المازنى فلم يتناول «مىّ» بالنقد والهجوم كتابة، وكل ما هنالك أنه كان يغفل أمرها، ولا يعترف بوجودها، وكان يصارح بعض أصدقائه وتلامذته بذلك.

ولم تكن عنده رغبة فى لقائها، أو التعرف بها، على خلاف كل رجال الفكر والقلم المعاصرين له.

وفى يوم ما تلقى منها دعوة إلى زيارتها فى «صالونها» الأدبى.

ولندع المازنى يكمل القصة بنفسه، وقد نقلنا كلامه من كتاب «حياة مىّ».

قال: تلقيت منها ذات يوم بطاقة مكتوبة بخط جميل تدعونى فيها إلى زيارتها فى يوم ثلاثاء. أما أى ثلاثاء ومن أى شهر أو عام فعلمه عند الله. وقد استغربت يومئذ حسن الخط، وتوهمت أنها استكتبت أحد الخطاطين، وعددت هذا

من التكلف الذى لا داعى لـه. ولما كنـت أمقـت التـكلف، وأنفر من الاجتماعات الكبيرة، فقـد زهـدت فى الـزيارة الـتى دعيت إليها، ووطنت نفسى على التخلف.

كنت سيىء الأدب

ومن حسن الحظ أنى نسيت أن أبعـث إليهـا بـرد أو اعتذار. وأحسب أن الأستاذ العقاد هو الذى هوّن علىّ الأمر، وشجعنى على قبول الدعوة، وعرفنى أن هـذا خـطها لا خـط خطاط، فلم أجد مناصًا بعد ذلك من قبول الـدعوة الـكريمة، وأقول الكريمة لأنى كنت سيىء الأدب معها أو قليـل العقـل، ذلك أنها كانـت أهـدت إلىّ كتـابيها «الصـحائف» و«ظلمات وأشعة»، فألفيت نفسى نافرًا غير مستعد لحسـن الـرأى فيها. ولعل كلمة «الظلمات» هى التى ساء وقعها فى نفسى، فكتبت بضعة فصول فى الأخبار، ونشرت بعد ذلك فى كتاب «حصاد الهشيم» عن «الواجب»، و«الكتب والخلود»، و«الطبيعة عند القدماء والمحدثين»، ولم أتناول كتابى «مىّ» بأى بحـث، وإنمـا كتبت ما كتبت لمناسبة إهـدائها إلىّ، وكانـت هـذه قلـة ذوق

على التحقيق، وكان إهمال إبداء الرأى لا يخلو من معنى الاستخفاف، فبأى وجه ألقاها وقد صنعت ذلك؟ ولكنها غفرت ذنبي، وأغضت عن قلة ذوقى، وعسى أن تكون قد حملت ذلك مني على محمل الغرور أو الطيش أو الحماقة التي يركب الشاب بها الحياة.. ولولا أنها صفحت عني لما دعتني، فمن الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ، ومما ينطوى على معنى الاعتذار أن ألبي الدعوة. وحدثتني نفسى، وقد دارت فيها هذه المعانى، أنها لابد أن تكون مرهفة الإحساس، عظيمة مروءة القلب، رحيبة الأفق، وأنها على كل حال لابد أن تكون ظريفة، فتوكلت على الله وذهبت...

«صالون» مىّ كما يصفه المازنى

ويمضى الأستاذ المازنى - رحمه الله - فيصف «صالون «مىّ» كما دخله لأول مرة قال:

وأعترف أنى دخلت متهيبًا، مستحييًا، ووقفت على الباب مترددًا. . تهيبت لقاءها، واستحييت أن أجد نفسى بين زوارها الذين قيل لى إنهم من كل طبقة، وترددت لأنى لم أعتد هذه

المجالس، ولأنى أعرف من نفسى النفور من هذه الطبقات التى تعد نفسها ممتازة أو عالية، أو لا أدرى لماذا أيضًا.

على أنى دخلت بسلام، فاستقبلتنى هاشة باشة شاكرة، فتعجبت، ولا أظن أنى نطقت بحرف.

وقعدت حيث أومأت، وكان هناك الأساتذة لطفى السيد، وخليل مطران، ومصطفى عبد الرازق، والسيد رشيد رضا، وابن أخيه محيى الدين رضا، والعقاد وآخرون كثيرون امتلأت بهم حجرات الدار.

وكانت المرحومة أمها تساعدها على الترحيب بالضيوف وإكرامهم، ولا أذكر أنه دار بينى وبينها حديث.. وكانت كلما مرت بى تلق كلمة تحية، أو تكتفى بالابتسام، وأنا كالأخرس... لا أنبس ببنت شفة!

خطب فى «الصالون»

ويستطرد الأستاذ المازنى فيقول :

وإذا بهذا الجمع الحاشد يخرج من الحجرات إلى الردهة الفسيحة، وإذا «مىّ» تقف لتخطب، فارتعت ووجمت،

لما أكره شيئًا كراهتى للخطب. وقالت شيئًا سمعت منه اسم «ماكس نوردد»، فانطلق لطفى السيد يصفق.. فتعجبت لهذا الرجل، ولما عددته يومئذ إسرافًا فى التلطف والمجاملة.

ولم أصغ لشيء مما قالت، ورأيت كثيرين ينهضون شاكرين مثنين، وصار هذا يدعو ذاك لإلقاء كلمة، فخفت، وزادنى رعبًا أن السيد محيى الدين رضا همس فى أذنى أنه سيدعونى إلى الكلام.. فقلت والله لئن فعل لأقولن ما يسوء، فما أنا من رجال «الصالونات»، ولست أحسن هذا الضرب من الكلام، وما جئنا هنا ليثنى بعضنا على بعض على أنى لا أعرف لماذا جئنا أو دعينا.

من أبناء الشعب

ويمضى المازنى فى تصويره للصالون فيقول:

واتفق فى هذه اللحظة أن مرت بى الآنسة «مىّ»، فحاولت أن أنهض لها، فنهتنى عن ذلك، وعرفتنى أنه غير لازم، فوجدت لسانى وقلت لها معتذرًا عن جهلى: إنى من

عامة أبناء الشعب، ولست من رواد «الصالونات» فأرجو أن تتجاوزى عن أغلاطى!

فقالت بابتسامة وديعة: لا تقل هذا الكلام!

قلت: ألا تحبين أن تعرفينى على حقيقتى!

قالت: طبعًا.

قلت: ثق إذن أنى من أبناء الشعب، ولا أستطيع ولا أحب أن أرتقى عن هذه المنزلة.

فتبسمت وهزت رأسها.. ولا أدرى إلى هذه الساعة أكان هذا منها أسفًا.. أم كان رفضًا للتصديق؟ وإنما الذى أدريه أنى كنت جادًّا جدًّا..

وبدأ الناس ينصرفون، وهم الأستاذ العقاد وهممت بالخروج، فأخرتنا واستبقتنا - أستغفر الله - بل استبقت أيضًا الأستاذ خليل مطران وجلسنا نحن الأربعة فى حجرة الاستقبال الكبرى، وكان نصيبى الإصغاء مطرقًا حينًا، وناظرًا إليها حينًا آخر، ومعجبًا بها فى الحالتين وإن كنت قد شعرت بأنى غير فاهم شيئًا مما يقال لفرط اشتغالى بما فى نفسى.

رأى غامض

وهكذا رسم المازنى صورة حية نابضة «لصالون» «مىّ»، وشعوره بهذا «الصالون». ولكنه لم يبد رأيه بصراحة فى «مىّ».. وعمد إلى الهرب. من إبداء هذا الرأى.

وقد سئل عن أى كتب «مىّ» سيكتب له الخلود؟ فتهرب أيضًا وقال:

- إنى أومن بالفناء فى الدنيا ولا أومن بالخلود لشىء فيها.

نعم ربما بقيت الكتب محفوظة فى دورها.. فيكون البقاء معناه الدفن!

الاستغناء عن اللغة

وأوغل فى الهرب من الإجابة إلى حد أن قال:

- أنا أعتقد أيضًا أن العالم سيستغنى عن الألفاظ واللغات فى المستقبل البعيد كأداة للفهم والإفهام.. وسيستطيع

بعد مرور أحقاب كافية أن يتخاطب ويتراسل ويتفاهم بموجات يرسلها. . كما يرسل الآن موجات لاسلكية يذيعها فى أرجاء الأرض، فيسمعها القاصى والدانى وحينئذ يستغنى العالم عن الأدبُ المكتوب كله.

وسئل عن أسلوبها فقال : «إنه سليم نقى».

ولكنه لم يقف عند هذا الحد بل قال فى سخرية : لقد أشرت إلى قلة عقلى لما تلقيت كتابيها. . ذلك أنى أكره الأسلوب العاطفى أو الوجدانى. . وقد نسيت وأنا أقرأ كتابيها أن الكاتبة امرأة، وأنها لا تكون مخلصة لنفسها وطبيعتها إلا إذا كتبت بروح المرأة، وأنها بغير ذلك تكون متكلفة ولا قيمة لها. وقد كانت «ميّ» امرأة صادقة الأنوثة غير طائشتها، ومخلصة لجنسها أعظم إخلاص. . وأحسب أنى قد تبينت كيف كنت قليل العقل.

ورفض أن يجيب عن سؤال عن مكان «ميّ» بين كتاب العربية، وقال : «أين فى العربية من النساء من يضارعها حتى يكون هناك محل للمفاضلة ؟!»

وكان السؤال عن مكان مىّ بين الكتاب، وليس بين النساء.

وهكذا تخلف المازنى بلباقة وحياء عن موكب المعجبين بمىّ.

أسلوبها

كان أسلوب «مىّ» مشرقًا أخاذًا كان لتعبيراتها رنين عذب، وجرس خلاب. كانت تفكر فى حماسة؛ ولهذا غلبت على كتابتها روح الخطيب المفكر، لا الخطيب المرتجل!

وإليك نموذجًا من هذا الأسلوب:

قالت تخاطب الشرق وتستنهضه:

أيها الشرق

يا شرق الكبير الرهيب الرؤوف..

يا شرق الطرب والحميا والنخوة والشدة العاصفة كريح السموم!

إنك لتتجمع تحت نظرى كلوحة مصورة، فأرى منك الفقر والجهل والاضطراب والاحتدام والانفعال، ليس فيك

فيض الثروة ومعجزات الحضارة. ربوعك خالية مما لدى الأقوياء من صروح ومعاهد ومصارف ومعامل. ربوعك خالية من المتاحف والخزائن والودائع المجلوبة من قصيّ الأنحاء. إنك جاهل فقير مفكك الأوصال، وبرغم ذلك فأملى بك عظيم كالحياة والحرية. ها قد جاء وقت النهوض، فإلى النهوض برغم النوائب والمثبطات... إلى النهوض.. حولك الأقوياء يكافحون ويغنمون، وهم برغم ذلك يئنون فى الظلام...

هناك فجر منتظر لم يلح بعد!

أنت برج الفجر.. أيها الشرق أنت مزجى الأشعة... فقم واعمل وارقب من أى أنحائك يلوح مشعل الضياء!

آراء أهل القلم

وقد سمى المازنى هذا الأسلوب عاطفيًّا..

وسماه التابعى شعرًا منثورًا أو نثرًا مشعورًا...

وقال مصطفى عبد الرازق: إن للآداب الإفرنجية أثرًا ظاهرًا فى أسلوب «مىّ» وفى طريقة معالجتها لموضوعاتها. وفى

رأيه أن هذا الأسلوب لا يبقى حيًّا يزاحم فى ميدان التنافس بين الأساليب الجديدة التى يلتمس كل واحد منها النصر، ولا أعلم لأيها يكون النصر، ومن يدرى؟ فقد يكون للحرب القائمة ونتيجتها أثر حتى فى أساليب التفاهم بين الناس. ويرى الدكتور طه حسين أن الأدب العربى قد انتفع بحياة «ميّ»..
ويقول الأستاذ العقاد إن «ميّ» كاتبة معتدلة بعيدة عن التطوح فى الأثيريات والخيالات، فهى أقرب إلى المحسوس الدانى منها إلى الخيال البعيد.

ويقول أنطون الجميل: كانت «ميّ» على اطلاع واسع الحدود، فسيح المعالم، وكانت شخصيتها تثب مستقلة من خلال أفكارها وكتاباتها فما قلدت كاتبًا!

ويقول الدكتور منصور فهمى: «إننى أعد الطريقة التى جرت عليها «ميّ» فى كتابتها مما يصح أن يكون مثلاً للكتابة الراقية، ولم تكتف «ميّ» بالفكرة المتمكنة والمعنى الدقيق، بل كانت تعنى فوق ذلك باختيار الألفاظ الملائمة والعبارات المواءمة.

ويقول خليل مطران: إن شاعرية «ميّ» فى اللغة العربية

كتبت بطريق النثر الفنى، وهذا هو ما اختصت به فى أسلوب كتابتها، فتكتب مصورة وملحنة ومقسمة للكلام على تقاسيم شعر خفى تتحرك به النفس.

«مىّ» والتيمورية وباحثة البادية

لقد ظهرت «مىّ» فى مصر بعد ظهور أديبتين هما عائشة التيمورية عمة الأستاذ محمود تيمور - وكانت شاعرة على طريقة شعراء ذلك العصر، ولها ديوان مطبوع.

أما الأخرى فهى باحثة البادية ملك حفنى ناصف كريمة القاضى الأديب حفنى ناصف، وقرينة السيد عبد الستار الباسل، وكانت تذيع المقالات، وتثير المناقشات على صفحات الجرائد. لكن عائشة وملك كلتاهما كانت تتحدث من وراء حجاب، ولم تظهر فى المجتمعات أو تخطب فى حفلة، ولا وجه للمقارنة بينهما وبين «مىّ» فاختلاف الظروف والبيئة والثقافة والدين شق الطريق أمام «مىّ» وسد المنافذ فى وجهى عائشة وملك.

« الصالون » الثانى

ولم يكن « صالون » « مىّ » أول « صالون » أدبى لسيدة فى مصر، فقد سبقتها إلى ذلك الأميرة نازلى فاضل. لكن ما أبعد الفرق بين « الصالونين »! كان « صالون » « مىّ » للمفكرين من جميع الطبقات.. وكان « صالونًا » أدبيًّا عربيًّا. وكان « صالون » نازلى للخاصة، وكان « صالونًا » اجتماعيًّا فرنسيًّا.

يقول الدكتور طه حسين : كانت الأميرة نازلى فاضل تستقبل فى « صالونها » بعابدين كبار المصريين والأوربيين، وكانت الأحاديث فى هذا الصالون تتصل غالبًا بالمسائل السياسية ومسائل الإصلاح الاجتماعى والدينى التى كان الناس يشغلون بها فى ذلك الوقت، وكان سعد زغلول، وقاسم أمين، ومحمد عبده، وحسن عبد الرازق، وحسن عاصم، يشهدون هذه الاجتماعات، ويشاركون فيما كان يدور فيها من الأحاديث. وكانت آثار ذلك تظهر فى الحياة العامة لهؤلاء الناس، ولكن « صالون » الأميرة نازلى كان أرستقراطيًّا إن

صح أن الأرستقراطية توجد فى مصر. وهو على كل حال كان ضيقًا مغلقًا لا يصل إليه إلا الذين ارتفعت بهم حياتهم الاجتماعية إلى مقام ممتاز، ولم تكن الحياة الأدبية الخالصة تشغل الذين كانوا يختلفون إلى هذا «الصالون».

فأما «صالون» «مىّ» فقد كان ديمقراطيًّا، أو قل إنه كان مفتوحًا لا يرد عنه الذين لم يبلغوا المقام الممتاز فى الحياة المصرية، وربما كانوا يدعون إليه، وربما كانوا يستدرجون إليه استدراجًا، فيلقون الناس ويتعرفون إلى أصحاب المنزلة الممتازة، ويكون لهذا أثره فى تثقيفهم وتنمية عقولهم وترقيق أذواقهم.

«صالون» سكينة بنت الحسين

لم تكن «مىّ» إذن مجرد أنثى ذكية، لكنها كانت كاتبة مفكرة، وقد خلفت من الآثار الأدبية ما يكفل لها فى تاريخ الأدب العربى عمرًا طويلاً.

ولقد كان «لصالونها» الأدبى من الأثر فى هذا العصر الحديث مثل ما كان «لصالون» السيدة سكينة بنت الحسين

رضى الله عنهما من أثر فى تـوجيه الـذوق الأدبى. وكما لفتـت سكينة أنظار الناس وإعجـابهم، وجعلـت النسـاء يقلـدنها فى تسريحة شعرها، لفتت «مىّ» أنظار أبناء جيلها وكان كثير من الفتيات يحاولن تقليدها فى إرسال شعرها وراء ظهـرها بعنـاية توحى بعدم العناية.

وقد ذكرت كتـب الأدب العـربى أن السـيدة سـكينة بنت الحسين كانت عفيفة، تجالس الأجلة من قريش، ويجتمع إليها الشعراء، وكانت أحسن النساء شعرًا، وكانـت تصـفف شعرها تصفيفًا جميلًا، وعرف هذا التصفيف أو التسريحة باسم «الجمة السكينية»، وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجـلًا يصفف شعره على طريقة سكينة جلده وحلق شعره.

وكانـت سكينة تجمع فى منزلها أمراء الغناء، وتدعو النـاس إلى الاستماع، وتقدم إليهم الطعام، وتجيز المغنين والشعراء.

وقد كان لها ولع بالغناء، وكانت تنقد الألحان والأشـعار، وتشرح أسباب نقدها، ولعلها أول من فعـل ذلك، فقـد كان النقاد قبلها يكتفون بقـولهم: هـذا أشـعر خلـق الله، أو ما أجمل هذا!! وما أقبح ذلك! ولـكن سـكينة كانـت تنقـد

وتبين مواضع النقد. سمعت من راوية جرير قول جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

فقالت له : وأى ساعة أحلى من الطروق ؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره !

ويروى صاحب الأغانى رواية أخرى مؤداها أن الشعراء اجتمعوا عندها، فأرسلت إليهم جاريتها، وكانت تسأل كلا منهم : ألست القائل كذا : خذ هذا الألف.

وأن الجارية دخلت على مولاتها وعادت إلى الشعراء وقالت أيكم جرير فقال : هأنذا.. قالت أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

قال : نعم.

قالت : أولاً أخذت بيدها، وقلت لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف.. خذ هذه الألف والحق بأهلك !

والحديث عن سكينة وطريقتها فى النقد يطول، وقد أردنا بالكلام عن سكينة أن نقارن بين « صالونها » الذى كان يجتمع فيه الشعراء والمغنون فى صدر الإسلام، وبين « صالون »

« مىّ » الذى كان يجتمع فيه الأدباء والمفكرون فى هذا العصر الحديث.

ولقد كانت مىّ أيضًا مولعة بالغناء.. كانت تغنى.

قال الدكتور طه حسين:

ما أكثر الليالى التى انصرف فيها الزائرون جميعًا، ولم يبق منهم إلا الأستاذ لطفى السيد ومحمد حسن المرصفى وأنا. وفى ذلك الوقت كانت « مىّ » تفرغ لنا حرة سمحة، فنسمع من حديثها ومن إنشائها ومن عزفها ومن غنائها.

ويظهر أنى لن أنسى صورة « مىّ » حين تغنينا أغنية لبنانية مشهورة (يا حنينة)، وتغنينا فى اللغات المختلفة، وفى اللهجات العربية المختلفة أيضًا.

هذه هى أسطورة « مىّ ».. وهذه هى حقيقتها، وليس أجمل من الأسطورة إلا الحقيقة، ولا أجمل من الحقيقة إلا الأسطورة!





أوبريت جميلة



الفصل الأول

المشهد الأول

فى أثناء عزف الافتتاحية الموسيقية يفتح الستار ويضاء جزء من مقدمة المسرح، فى حين يظل الجزء الخلفى مظلمًا. وتدخل جميلة إلى الجزء المضىء من المسرح، وقد بدا القلق والحذر فى خطواتها ونظرات عينيها، وهى تحتضن فى صدرها مجموعة من الأوراق، ثم تقف فجأة، وتستدير إلى الناحية الأخرى استعدادا للهرب، فقد شعرت بأن هناك من يتعقبها...

وفى هذه اللحظة يلحق بها عدد من الجنود الفرنسيين، فتحاول جميلة أن تمزق ما تحمله من أوراق، لكن الجنو يبادرون ويستولون على الأوراق، ويلقون القبض عليها ويقودونها إلى خارج المسرح فى قسوة...

وهنا تنطفئ الأنوار تمامًا، وتنتهى الافتتاحية الموسيقية. بعد ذلك تبدأ موسيقى هامسة مع دخول « الراوية » من المكان نفسه الذى خرجت منه جميلة.

والراوية سيدة جزائرية، تشتغل بالتدريس، وهى صديقه لأسرة جميلة.

وعند دخولها تتلفت حولها، وتبدأ تحكى بصوت خافت قصة جميلة.

الراوية : لا أكاد أصدق ما حدث.. ولكنى رأيته!.. جميلة تبيت فى السجن!.. كيف؟.. لقد عرفتها طفلة، وتلميذة فى مدرستى، وطالبة فى الجامعة، وفتاة وجدت أحلامها فى استقلال الجزائر، ووجدت فتى أحلامها فى واحد من الفدائيين الجزائريين.. لقد كنت أتوقع أن أراها فى بيت الزوجية.. فرأيتها اليوم فى السجن.. فى الزنزانة.. حاولت أن أبقى معها، فشدنى الجنود الفرنسيون من شعرى، وركلونى بأقدامهم، وأخرجونى، وأغلقوا عليها وحدها باب الزنزانة...

وبعد فترة يدخل محمود وأنفاسه لاهثة، وقد بدا عليه الفزع، وخلفه الأب والأم.

محمود : أبى..

(وتحتبس الكلمات فى حلقه)

الأب : ماذا جرى؟

الأم : (تنظر إلى ابنها، وتحاول أن تسأله عن جميلة، فتخنقها العبرات، وتتجه بعينيها إلى الراوية وتقول) ما الذى حدث ؟

الراوية : (ذاهلة النظرات)

الأب : لماذا لا تتكلمين ؟

الراوية : لقد قبضوا على جميلة . .

الأم : (تدق على صدرها وتقول) : من الذى قبض على جميلة؟

الراوية : الذين قبضوا على الجزائر !

محمود : العساكر الفرنسيون ؟

الأب : (يخاطب الإبن) هل رأيتهم وهم يعتقلونها ؟

الراوية : أنا رأيتهم . .

الأب : ما الذى فعلته جميلة حتى يعتقلوها ؟

الراوية : لقد ضبطوا معها منشورات، وحاولوا أن يعرفوا منها أسماء الذين تسلمت منهم هذه المنشورات . . ولما رفضت زجوا بها فى السجن وخصصوا بها زنزانة . .

الأب : هل حمل المنشورات جريمة ؟ !

الراوية : يالسخرية القدر . . إن فرنسا ترتكب فى بلادنا

كل يوم جرائم يندى لها جبين كل إنسان،
إلا إنسان الجيش الفرنسى !

الأب : الأبرياء فى السجون، والمجرمون خارج السجون،
بل هم الذين يسجنون الأبرياء ؟ !

محمود : اسمعوا. . إن أصوات خطوات كثيرة تقترب منا. .

(وفى هذه اللحظة تدخل البيت قوة مسلحة من الجيش الفرنسى، وتأمر الموجودين بالا يتحركوا. . ويبدأ الجنود يفتشون البيت بعنف وقسوة، ويدور حوار بين قائد القوة ووالد جميلة)

القائد : أين والد جميلة ؟

الأب : هنا. . . أنا. .

القائد : هل أنت فدائى أيضًا ؟ ؟ !

الأب : أنا جزائرى أيضًا !

القائد : هل فى البيت منشورات أخرى ؟

الأب : البيت أمامكم. . . فابحثوا حتى الصباح. .

القائد : ليس عندنا وقت للبحث أكثر من ذلك. . لقد
رتبنا لك موعدا الآن لتكون مع ابنتك. . .

الأب : هل سمحتم بزيارة جميلة فى السجن ؟

القائد : السجن لايستقبل الزوار.. السجن يستقبل المعتقلين فقط!

الأم : (تصرخ، وتدفع أحد الجنود بيدها وهى تصرخ) : خذونى إلى السجن : وسأقلبه رأسًا على عقب، حتى أجد المنشور المقدس الذى اغتصبتموه منى.. بنتى!

(وهنا يقتاد الجنود الفرنسيون الأب، وهم ينزلون به أشد الإهانات، يركلونه بالأقدام، ويدفعونه ببنادقهم إلى الباب فيقول لهم) :

الأب : شيئًا من الإنسانية!..

أحدالجنود : لا إنسانية مع العرب..

الأب : بل لا إنسانية إلا فى العرب..

القائد : (يضرب الأب فى ظهره)

الأب : إلى أين؟

القائد : إلى السجن.. ألا تريد أن تكون مع جميلة؟

الأب : ولماذا تسجنونها؟!

القائد : ستعرف هناك أنها تستحق الشنق!

الأم : جميلة.. بنتى.. لا تشنقوها.. اشنقونى أنا!

الأب : ولماذا تسجنوننى؟

القائد : أنت مسئول عن ابنتك..

الأب : افرجوا عنها إذًا، واسجنونى وحدى..

القائد : فى استطاعتك أن تنقذ بنتك.. انصحها بأن تعترف!

الأب : بماذا تعترف؟

القائد : انصحها أن تذكر اسم من أعطاها المنشورات..

الأب : إننى لا أعرف أنها ارتكبت جريمة حتى أنصحها بأن تعترف! أو لا تعترف!

الأم : أنتم قتلة..

القائد : اخرسى..

(ويشد الأب من ذراعه، ويصوب نحوه الجنود بنادقهم، ويسوقونه إلى خارج البيت. وبعد ذلك تطفأ الأنوار تمامًا على خشبة المسرح)

المشهد الثانى

(يعود الضوء على المسرح إلى الظهور تدريجيا، وتشاهد جميلة وهى ملقاة فى زاوية من أرض الزنزانة. ويدخل عليها كبير السجانين ومعه اثنان من مساعديه وإحدى السجانات، ويحيونها فى رقة مفتعلة. فتنظر إليهم ولا تتكلم.

كبيرالسجانين : (وقد رسم على فمه ابتسامة عريضة) لا نريد منك أكثر من أن تعترفى بأسماء الفدائيين الذين أعطوك المنشورات وسنطلق سراحك فورًا . .

(تظل جميلة صامتة ويعود كبير السجانين ويقول لها) :

أنت فى عمر بنتى . . كم يؤلمنى أن تتعذبى . . اعترفى . . وتأكدى أن اعترافك سيكون قرارًا رسميًا بالإفراج عنك، وعن أبيك الموجود هنا فى السجن .

جميلة : أنا لا أعرف شيئًا حتى أعترف به !

(وهنا ينتحى كبير السجانين بالسجانة بعيدًا عن جميلة، ويدور بينهما حوار هامس، وتسمع السجانة وهى تقول له) :

السجانة : مفهوم . . مفهوم . .

(ثم يخرج الجميع ماعدا السجانة، فإنها تقترب من جميلة، وتبتسم لها، وهى تقدم إليها طعامًا وبطانية ودورق ماء وتقول مخاطبة جميلة) :

انتبهى لنفسك يابنتى . . فأنت شابة صغيرة، نابضة

بالجمال والحيوية.. وأنا لا شأن لى بالسياسة، ولكنى أخاطبك كأم.. حرام يابنتى أن تتعذبى.. ومن يدرى؟ لعلهم يشنقونك!.. وفى يدك أن تنقذى نفسك من العذاب، ومن المشنقة.. اعترفى يابنتى.. اعترفى..

جميلة : دعينى وحدى..

السجانة : هل يضايقك وجودى هنا؟

جميلة : أنا أكره اللصوص!

السجانة : وهل أنا من اللصوص؟..

جميلة : أنت من فرنسا!

(تبتسم السجانة فى مرارة وسخرية ثم تقول):

السجانة : مسكينة!.. لقد خدعوك، وصوروا لك فرنسا بهذه الصورة الزائفة.. ليس الفرنسيون لصوصًا.. إن فرنسا - يابنتى - هى التى أعلنت حقوق الإنسان بثورتها الكبرى!.. فكيف أفهموك أنها سارقة؟

جميلة : إن الجائع الذى يسرق رغيفًا يصبح فى نظر

القانون لصًّا ! . .

السجانة : وما الذى سرقناه منك ؟

جميلة : سرقتم شعبى . . سرقتم حريتنا . . سرقتم كرامتنا . . سرقتم لغتنا . . سرقتم بلادنا من قارتها الإفـريقية، وجعلتموها جزءًا من فرنسا الأوربية !

السجانة : إنى أعذرك . . فمن كان فى مثل سنك يسهل عليه أن ينخدع ولكن دعينـا مـن هـذا . . اسمعـى . . ليس مطلوبًا منك أكثر من أن تعترفى بـأسماء مـن حرضوك على هذا العمل . . بل إن اسمـا واحـدًا يكفى !

جميلة : لا أعرف أحدًا . .

السجانة : إنى أخاف عليك من عنادك . . لكن دعينا مر هـذا . . اسمعـى لا تنسى أن تغـطى جسـدك بالبطانية . . وكلى قبل أن تنامى . . فالجو بـارد . . اشربى ماء، فإنه يعينك على مقاومة البرد .

(وهنا تقدم السجانة الطعام والبطانية إلى جميلـة، ولـكن جميلة تصد السجانة فى عصبية ثم تغنى)

جميلة : مـادامت أرضى وسمـائى
نهبًـا لضراوة أعـدائى
فالجوع غـذائى
والعـرى ردائى

(وهنا ينتاب جميلة إعياء شديد، وتحاول أن تنهض، فتقع مكانها، فتتقدم نحوها السجانة، وتقدم إليها دورق الميـاه، وهى تقول) :

السجانة : صوتك مخنوق.. خذى اشربى.. قد هدك الحزن، وأوهى القوى..

(تدفع جميلة الدورق فى عصبية، وتقول) :

جميلة : لا أشرب الماء ولا أرتوى
وفى بلادى ظامئٌ مـا ارتـوى
مـادام فى الـدنيا مسـاكين
فـالماء فى حلـق سـكين

ستار

الفصل الثانى

المشهد الأول

(عندما يفتح الستار نشاهد أحد مواقع قوات الفدائيين وسط الجبال، وقد تفرقوا فى المسرح، وكل منهم يقوم بفحص سلاحه وإعداده وبينهم « باسل » الذى يرتدى ملابس متميزة عن ملابس زملائه، وهو يتنقل بينهم، ويوجههم، ثم يجلس وحيدًا فى أحد جوانب المسرح، منتظرا أن ينتهى الزملاء من إعداد أسلحتهم، ويبدو عليه القلق، فينهض واقفًا فى عصبية ويعود فيجلس؛ ثم يأخذ يردد هذه الأغنية) :

باسل : حبيبتى أين ؟ . . هنا   ليس هنا إلا أنا !
لكننى أحسّها   تملأ عينى سنا
وينبض القلب بها   حبًّا، ويأسًا، ومنى

* * *

يـالهفتى مـن خـاطر　　أسود مخنـوق الخـطا
ينسـل فى جـوانحى　　لصًّا.. على روحى سطا
جـردنى مـن هـدأتى　　وشـدنى إلى الجنـون
حبيبـتى أيـن ؟ ألا　　جواب لى إلا الظنون؟

(يسكت باسل عندما يدخل «حميدو» إلى المسرح، وهو يحمل صندوقًا ثقيلا ألقى به بين يدى باسل، ثم سقط بجانب الصندوق من فرط التعب والإعياء. والتفّ الفدائيون جميعًا حول الصندوق وهم يضحكون من منظر حميدو. وحميدو فى الأربعين من عمره، وقد أطلق لحيته. ويبدو دائمًا فى حالة إعياء. وهو معجب بباسل، وقد تأثر به، فى حركاته وإشاراته. وباسل يحبه ويثق به على الرغم مما يعرفه عنه من جبن وخوف. وكان باسل يعهد إليه فى تنفيذ بعض المهمات السرية، وكثيرًا ما كان حميدو يبدى الاعتراضات ليرجئ تنفيذ المهمة، ولكن باسلا كان يقابل اعتراضاته بالزجر والغضب، ويبادر حميدو إلى تنفيذ ما يأمره به باسل)

باسل　: هل أوصلت التقرير إلى القيادة العامة ؟

حميدو　: (وهو لاهث الأنفاس) قيادة عامة ؟ !.. ماذا تعنى بالقيادة العامة ؟

باسل　: أين التقرير الذى سلمته لك ؟

حميدو : تقرير؟ أى تقرير؟!

باسل : ألم أعطك أوراقًا لتوصيلها إلى قيادتنا؟!

حميدو : أنت أعطيتنى أوراقًا؟ أنا أخذت أوراقًا؟ أنا رجل فى حالى، لا أعرف أحدًا، وليس لى أى نشاط سياسى ولا غير سياسى!

باسل : (يمسك برقبته ويرفعه من الأرض ويقول له غاضبًا): ما هذا الكلام؟!

حميدو : هذا الكلام هو ما قلته للجنود الفرنسيين عندما اعترضوا طريقى، وأنا عائد من القيادة.

باسل : وأين الأوراق؟

حميدو : الأوراق؟.. سلمتها للقيادة طبعًا!

باسل : كيف اعترض الفرنسيون طريقك؟

حميدو : أوقفونى بالقرب من المستشفى الكبير.. وسألونى عن اسمى، فذكرت لهم اسمى..

باسل : وهل سألوك عن شىء آخر؟

حميدو : سألونى عن حقيقتى، فقلت لهم الحقيقة..

باسل : (يفزع، ويمسك به من رقبته مرة أخرى، ويقول له): الحقيقة؟!

حميدو : نعم.. قلت لهم إننى رجل متعطل، ولا أستطيع الحصول على أى عمل..

(يتركه باسل، ويسأله):

باسل : ما هذا الصندوق الذى أتيت به ؟

حميدو : آه . . الصندوق ؟

(يضحك ويقفز ويتحرك بين زملائه على المسرح، ويقول) :

أنا لا أخلو من الجبن، ولكنى أيضًا لا أخلو من الحيلة . .

باسل : أنا أسألك : ما هذا الصندوق ؟

حميدو : تريدون الحقيقة ؟

المجموعة : طبعًا !

أحدهم : قل الحقيقة كاملة . .

حميدو : وإذا قلت الحقيقة فهل تتركوننى كما أنا ؟ !

(يمسك رقبته بيده، وهو ينظر إلى باسل)

باسل : (يبتسم لمنظر حميدو، ويقول له) : إذا قلت الحقيقة كلها فلن يمسك أحد بسوء . . .

حميدو : لقد قلت بعض الحقيقة فأمسكت برقبتى . . فماذا يحدث لو قلت الحقيقة كلها ؟ !

باسل : لا تضيع وقتنا . . وقل لنا ما حدث بالتفصيل . .

حميدو : اسمعونى بلا مقاطعة . . عندما أمسك بى الفرنسيون بجانب المستشفى الكبير أقنعتهم بأنى رجل فقير لا أجد عملا، فأشفقوا على حالى، وعينونى عاملا باليومية فى مخازن المعسكرات،



وكلفونى أن أنقل الصناديق من المخازن إلى « اللوريات ».. وانتهزت فرصة تغيير الحراس على باب المعسكر، وحملت هذا الصندوق على كتفى، أمام الحراس الجدد، فظنوا أنى سأنقله إلى أحد « اللوريات » المخصصة بحمل الصناديق، وسرت فى طريقى إليكم، ولم أدرك خطورة هذا التصرف إلا بعدما أصبحت معكم..

باسل : (يبدأ بفتح الصندوق، ويدعو حميدو إلى مساعدته)

حميدو : دعنى أفتحه أنا وحدى.. فقد يكون الصندوق مملوءًا بالقنابل !

باسل : هل تخاف علىَّ من القنابل بعدما حملتها أنت على كتفك ؟

حميدو : القنابل !.. آه.. أنا.. أنا أحملها، ولا أستعملها !

(يضحك الفدائيون، ويفتحون الصندوق، فيجدونه مملوءًا بكميات نادرة من القنابل، ويهنئون حميدو على هذه المصادفة السعيدة.. ويثور حميدو فى عصبية مفتعلة، ويقول) مصادفة سعيدة.. كيف ؟!.. هذه ليست مصادفة.. هذه بطولة !

أحدهم : البطولة لا تجىء عفوًا !

حميدو : البطولة نوعان : بطولة تسعى إليها، وبطولة تسعى إليك..

أحدهم (ضاحكا) : أنت بطل ياحميدو!

حميدو (غاضبا) : هل تسخر منى ؟!.. أنا أحب وطنى، هذا يكفى كى أكون بطلا..

(ثم يسير إلى مكان فى نهاية المسرح، وهو يقلد باسلا فى مشيته، ويجلس وحده مقلدا جلسة باسل أيضًا ويردد هذه الأغنية) :

ولكن الأشراف

إن كنت أخاف فالخوف عليك

وحنينى إليك

من أجلك أحيا

وأموت لتحيا

المشهد الثانى

(تدخل الراوية، وقد بدا عليها الحزن، فيندفع إليها باسل)

باسل : ماذا بك ؟

الراوية : لقد قبضوا عليها !

باسل : قبضوا على جميلة ؟!

الراوية : وقبضوا على أبيها أيضًا، وهما الآن فى السجن يقاسيان العذاب.

أحد الفدائيين : متى حدث ذلك ؟

الراوية : منذ يومين. . .

فدائى ثان : وهل اعترفت جميلة ؟

الراوية : لا. . .

فدائى ثالث : هل انتزعوا منها المنشورات ؟

الراوية : نعم. . .

باسل : إنها لم تكن تحمل إلا منشورات عادية. .

فدائى آخر : أخشى أن تنهار أعصابها، فتعترف. . .

باسل : أعصاب جميلة مثل بلادها. . . لا تنهار !

أحدهم : وإذا عذبوها ؟

الراوية : لقد عذبوها. . . ووعدوها بالإفراج عنها، وعن والدها، إذا هى اعترفت باسم الفدائى الذى أعطاها المنشورات، ولكنها أطبقت فمها، ولم تنطق، وكأنها خرساء !

أحدهم : يجب على جميلة ألا تعترف، مهما تتعذب. . .

باسل : بل يجب عليها أن تعترف حتى لا تتعذب...

الجميع : (فى احتجاج) ماذا تقول؟

باسل : أنا أعلم أنها لن تعترف... ولكنى لا بد أن أقنعها بالاعتراف.

الجميع : (فى دهشة وغضب) أنت تقنعها بالاعتراف؟

احدهم : الاعتراف جريمة...

باسل : افهمونى... بلا غضب... جميلة لا تعرف إلا اسمى أنسا، والفرنسيون يعرفوننى، فإذا اعترفت لهم باسمى فلن تعطيهم إلا المعلومات التى يعرفونها!.. (ثم يسأل الراوية): هل لجميلة محام؟

الراوية : لقد اختار لها الفرنسيون محاميًا، ليتولى الدفاع عنها...

(هنا يخرج باسل ورقة ويكتب فيها بعض كلمات يرددها فى أثناء الكتابة):

باسل : لا تخافى علينا.. اعترفى حتى لا تتعذبى.. نحن فى حاجة إليك خارج السجن... بحق الحب... بحق الكفاح فى سبيل الوطن..

اعترفى، لكى تعودى إلى صفوف المكافحين . .
السلاح فى يدك أجدى من الأغلال ! (ثم يعطى
الراوية الورقة) سلمى هذه الرسالة لجميلة . . .

الراوية : قد لا أتمكن من رؤيتها . .

باسل : اتصلى بمحاميها، وهو يستطيع أن يسلمها الرسالة . .

(تخرج الراوية من المسرح، وقد بدأ الانفعال على وجوه الجميع، ثم ينشدون) :

مجموعة : عرضك الغالى على الظالم هان
ومشى العار إليه وإليك

مجموعة ثانية : أرضك الحرة غطاها الهوان
وطغى الظلم عليها وعليك

مجموعة ثالثة : قدّم الآجال قربانًا لعرضك
اجعل العمر سياجًا حول أرضك

المجموعات الثلاث : غضبة للعرض، للأرض، لنا
غضبة تبعث فينا مجدنا
وإذا ما هتف الهول بنا
فليقل كل فتى إنى هنا

باسل : أنـا ومـضٌ وبـريـق

أنـا صخـر، أنـا جمـر

لفـح أنفـاسى حـريق

ودمـى نـار وثـأر

بلـدى لا عشـت إن لم أفتـدى

يـومك الحـرّ بيـومى وغـدى

نـازفًا مـن دم أعـدائك مـا

نـزفوه مـن أبى أو ولـدى

آخـذًا حـريتى من غـاصبيها

سـالبيها، وبـروحى أفتـديها

المجموعات الثلاث : فاحترم بالثأر ذكرى شهدائك

بـذلوا أرواحهـم بـذل السـخى

وانتقـم . . إن هنـا أذكى دمـائك

وهنـا أمـى وأخـتى وأخـى !

المجموعات الثلاثـه: مرة أخرى ومعهم باسل :

قـدم الآجـال قـربانًا لعـرضك

اجعل العمر سياجًا حـول أرضـك

غضـبة للعـرض، لـلأرض، لنـا

غضبة تبعث فينا مجدنا
وإذا ما هتف الهول بنا
فليقل كل فتى إني هنا

ستار



الفصل الثالث

المشهد الأول

المنظر : جانب من سجن الجزائر، ونرى جميلة فى زنزانة وقد بدت عليها آثار التعذيب، فى وجهها والحناء ظهرها... إلخ، وهى تئن من الألم والإعياء...، وبعد قليل يدخل المحامى الزنزانة، وهو يحمل تحت إبطه حافظة أوراق، ومعه السجان الذى يفتح باب الزنزانة، ويقف بالقرب منه، فى أثناء زيارة المحامى جميلة...

المحامى يهودى من مواليد الجزائر، اسمه «كوهين»، وهو ضالع بعواطفه وأفكاره مع الاستعمار الفرنسى، ويحرص فى علاقاته بالجزائريين المسلمين على أن يبدو إنسانًا محايدًا بعيدًا عن السياسة، وهو فى المحاماة يحل قضاياه بالوساطة بين المتقاضين، فليس له تجارب كافية فى المرافعات، ويعتمد فى كسب قضاياه على صداقته للمسئولين)

المحامى : كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد؟

جميلة : (تنظر إليه فى سخرية، وتقول) : لك حق.. كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد فقط؟!

المحامى : لا . . . لا . . أنا لم أقصد . . . أنا لم أتوقع تطور الموقف بهذه الصورة . .

جميلة : أى موقف ؟

المحامى : إصرارهم على تعذيبك، إذا لم تعترفى، وإصرارك على عدم الاعتراف . . .

جميلة : وهل كنت تتوقع غير هذا ؟

المحامى : طبعًا . . كيف أتوقع أن . . (تقاطعه جميلة قائلة)

جميلة : أن أعترف . . أليس كذلك ؟!

المحامى : كنت أتوقع أن تخرجى من السجن !

جميلة : وهل عندك وسيلة لذلك ؟!

المحامى : الوسيلة عندك أنت !

جميلة : ليس هناك إلا وسيلة واحدة، هى أن تنتصر الجزائر وتنهزم فرنسا !

المحامى : هذه ليست وسيلة . . هذه أحلام . . وكما تعلمين لا اعتراض لى على تحقيق الأحلام !

جميلة : أنا لا أعلم ذلك

المحامى : على أى حال . . . نحن الآن سجينة ومحام . . ومن واجبى أن أبصرك بالخطر، وأن أرسم لك



طريق النجاة . .

جميلة : أنا لا أطمئن إلا إلى الطريق الذى تسير فيه الجزائر كلها . . . طريق النضال حتى آخر رمق فينا . . وآخر رمق فى الطغاة . .

المحامى : لو كان وجودك فى هذه الزنزانة يحرر الوطن لحبست نفسى فى الزنزانة المجاورة !

جميلة : أى وطن تعنى ؟

المحامى : ألست جزائريًّا مثلك ؟

جميلة : (تقطب جبينها وتقول) : ربما . . . ولكنك لست مثلى !

المحامى : ماذا تعنين ؟

جميلة : لا شىء . . أعنى أنى سجينة . . وأنك مطلق السراح !

المحامى : الوطنية ليست حماسة تزج بنا إلى السجون ؟

جميلة : وهل هناك جزائرى خارج السجون ؟

المحامى : ما هذا الذى تقولينه ؟!

جميلة : عندما يحتل المستعمرون بلدًا يصبح أبناؤه كلهم سجناء !

إننى مسجونة فى زنزانة، وأنت سجين فى بيت . .
كلنا سجناء . . بيننا من يبيت بين جدران
السجن، وبيننا من يبيت بين جدران القصور !

المحامى : لندخل فى الموضوع . . أنت لن تخرجى من هنا
إلا إذا استمعت إلى نصيحتى . .

جميلة : وما هى نصيحتك أيها الأستاذ كوهين ؟

المحامى : اعترفى . . .

جميلة : وبماذا أعترف ؟

المحامى : اعترفى باسم قائد الفدائيين . .

جميلة : أنا لا أعرفه . . .

المحامى : أنت تعرفينه، وأنا أعرفه، والسلطات تعرفه !

جميلة : مادمتم تعرفونه فلماذا تريدون منى أن أذكر اسمه ؟!

المحامى : هذه إجراءات عادية . . .

جميلة : ولكن هدفها غير عادى !

المحامى : ليس لها هدف إلا الإفراج عنك . .

جميلة : (تبتسم ساخرة) وهل هم يريدون إطلاق سراحى ؟

المحامى : نعم . . وقد وعدونى بذلك .

جميلة : إنهم يستطيعون أن يخرجونى من هذا السجن

بدون أن أعترف !

المحامى : لابد من الاعتراف. . .

جميلة : إنهم يعلمون اسم القائد الذى أعطانى المنشورات، كما تقول، فلماذا يريدون منى أن أعترف ؟

المحامى : قلت لك إن هذه إجراءات عادية. .

جميلة : لا ؛ إنهم يريدون من اعترافى أن يبثوا الشك فى قدرة الشعب على أن يكتم أسرار كفاحه. . . إنهم يدركون جيدًا أنه لو اعترف إنسان واحد بأى شيء فسوف يسيطر الخوف على كل جزائرى. . الصديق يحذر صديقه. . الأم تحذر من ابنتها. . . الابن يحذر من أبيه. . والسجينة تحذر من محاميها !

(المحامى يرتبك، وتعبس جميلة، وتستمر فى حديثها قائلة) : إن الصمت هو جوهر نضالنا. . إننا فى كفاحنا لا نفتح أفواهنا، ولكننا نفتح فقط أفواه المدافع والمسدسات !

المحامى : أنا لا أرغمك على شيء، ولكنى أقدم لك

نصيحة مخلصة صادقة... وثق أنى لا أستطيع أن أخدعك..

جميلة : وغيرك أيضًا لا يستطيع!

المحامى : ألست جندية فى جيش التحرير!

جميلة : كل جزائرى جندى فى جيش التحرير.

المحامى : من التقاليد العسكرية أن يطيع الجندى أمر قائده، ومن واجبك أن تطيعى أمر القائد!

جميلة : وهل أنت القائد الذى أطيع أمره؟

المحامى : أنا رسول القائد إليك!

جميلة : أنت؟!

المحامى : نعم... أنا... (ويخرج من جيبه الورقة التى كتبها باسل، ويدنيها منها بحيث تستطيع قراءتها، وهو محتفظ بها فى يده) اقرئى...

(جميلة تقرأ بصوت مرتفع نص الرسالة)

جميلة : «لا تخافى علينا... اعترفى حتى لا تتعذبى.. نحن فى حاجة إليك خارج السجن.. بحق الحب... بحق الكفاح فى سبيل الوطن.. اعترفى، لكى تعودى إلى صفوف المكافحين...

السلاح فى يدك أجدى من الأغلال ! »

(وهنا تنزع جميلة الورقة من يد المحامى وتمعن النظر فيها، وتتأكد أن الرسالة بخط باسل، وموقع عليها بإمضائه، فتصمت)

المحامى : أظن أنك ستعترفين !

جميلة : لا . . لن أعترف !

المحامى : لقد قرأت الرسالة بنفسك . . إنها ليست رسالة من صديق إلى صديقته. إنها أمر من قائد إلى جندى !

جميلة : مادمت فى السجن فليس لى قائدًا أطيع أوامره إلا ضميرى !

المحامى : أنت لا تعلمين مدى العذاب الذى ينتظرك إذا لم تعترفى !

جميلة : أعرف . . . ولن أعترف !

المحامى : لقد وافقت السلطات على إعطائك مهلة مدتها أربع وعشرون ساعة، لكى تحسنى التفكير . . . ففكرى بهدوء !

(وهنا يخرج المحامى، وتخفت الأنوار فى المسرح، وتستغرق جميلة فى أفكارها، تبدو شبه نائمة، ويخيل إليها أن باسلا

موجود معها، وأنه يخاطبها وتخاطبه... وتضاء المنطقة التى فيها باسل بالنور الأزرق بحيث يبدو باسل كالشبح)

جميلة : ياحبيبى فى دمى صوتك ينساب يغنى ويدوى
مالئًا نومى وصحوى وانفعالاتى وأنفاسى وجوى
ياحبيبى... ياحبيبى.. لاتخاطبنى بألفاظ عدوى
كيف تدعونى باسم الحب أن أذكر اسمك
ياحبيبى كيف ألقى لذئاب الغاب لحمك
لست أحميك لحبى
لست أحميك لقلبى
أنا أحميك لشعبى

باسل : أنا أغضبتك كى أرضى ضميرى

جميلة : أنت أذنبت لكى تحمى مصيرى

باسل : ليس ذنبًا أن أخاف عليك من سوء العذاب

جميلة : ليس مثل الخوف ذنب وهو لى أقسى عقاب

باسل : هل ترين الحب عيبًا

جميلة : أنا أحببت عيونك

باسل : لك روحى... ماتريدين ؟ أجيبى !

جميلة : قبل أن تغفر لى لن أجيبك

باسل : ما الذى أغفر ؟

جميلة : اغفر لى ذنوبك !

(وهنا تنطفئ الأنوار تمامًا، وتستمر الموسيقى التصويرية، ثم تضاء الأنوار بعد قليل على المشهد الثانى)

المشهد الثانى

(يضاء المسرح، فنشاهد مجموعة من الضباط الفرنسيين ورجال الأعمال، وبينهم المحامى كوهين، ومجموعة كبيرة من النساء، والجميع يشربون، ويرقصون فى صخب، وتعلو صرخات النساء والرجال، ويترنح ضابط من إفراطه فى الشراب، وينام آخر وهو جالس مكانه وكأسه فى يده؛ ونرى كبير السجانين وقد بدا عليه السكر الشديد، وأخذ يتنقل بين النساء يحييهن ويداعبهن بالقبلات والأحضان، ويغنى الجميع هذه الأغنية الخليعة) :

المجاميع : هيا نشرب فالخمر كثير
الدنيا كأس فى فم سكير
ارشف دنياك
وحذار أراك
مثل النسّاك

أو مثل الواقف فى الـركن هنـاك
أغرق لى أمسى فى رشفة خمر
من غير الكأس ما قيمة عمرى
هيـا نشرب فـالخمر كثـيـر
الـدنيا كأس فى فـم سـكير

(هنا يقترب كبير السجانين من المحامى كوهـين. وهـو يترنح، وينظر فى ساعته، ويقول):

كبيرالسجانين : لقد انتهت المدة المحددة لجميلة، ولم تعترف.

المحامى : أظن أنها ستعترف بعدما شرحت لها الظروف...

كبير السجانين : أعتقد أنها ستعترف لظروف أخرى... هاهاها... (ويشير إلى الضباط وقد علت قهقهـاته. ويقول لهـم): تعولوا بنا إلى جو أكثر مرحًا...

أحدهم : إلى أين ؟

كبيرالسجانين : « إلى الكباريه »... إلى السجن...

(ويمشى وقد أمسك بيده زجاجة نبيذ عنقها طويل، وترتفع ضحكاته بطريقة هستيرية، ويتبعه الجميع إلى خـارج المسرح... ثم تطفأ الأنوار)

ستــار

رقم الإيداع		١٩٨٧ / ٢٢٦٣
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-١٩٧٨-٨	ISBN

١ / ٨٦ / ٢٣٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



هذا الكتاب

يتضمن موضوعين .. يتعلق الأول بالأديبة « مى زيادة » .. التى كانت ظاهرة غير عادية فى الحياة الأدبية فى مصر .

وعلى صالونها تردد كثير من رواد الأدب والفن فى هذا العصر : طه حسين ، لطفى السيد ، العقاد ، مصطفى عبد الرازق .. وغيرهم .

وكامل الشناوى فى هذا الكتاب يصور بأسلوبه الساحر الساخر حياة مىّ العاطفية والأدبية ، وكيف ذرعت حياتها بلا زواج بحثًا عن أسرار الحياة .. وكيف انتهى بها المطاف إلى أحد المصحات العقلية .

أما الموضوع الآخر فهو مسرحية (مأساة جميلة) تلك المجاهدة الجزائرية التى كانت علامة على استقلال وطنها .. ورمزًا للكفاح المسلح والصبر ..